وزارة التّعليم العالي والبحث العلمي
MINISTERE DE L'ENSEIGNEMENT SUPERIEUR ET DE LA RECHERCHE SCIENTIFIQUE
[illegible]
[illegible]
[illegible]
UNIVERSITE MOULOUD MAMMERI DE TIZI-OUZOU
FACULTE DES LETTRES ET DES LANGUES
Département de Langue et littérature Arabes
.
جامعة مولود معمري -تيزي وزو
كلية الآداب واللّغات
قسم اللّغة العربية وآدابها

رقم الترتيب:.....

الرقم التسلسلي:.....

مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماستر.

الميدان:لغة وأدب عربي.
الفرع: لغة وأدب عربي.
التخصّص: أدب حديث ومعاصر.

عنـــــــــــوان المذكرة:

الهامشي في رواية "أهل البياض" للروائي "مبارك ربيع".

. إعداد الطالبتين:
- **وردية سليمان.**
- **فطمة بطاهر.**

إشراف:
أ. د. نورة بعيو.

لجنة المناقشة:

د/ سامية داودي	أستاذة محاضرة صنف "أ" جامعة مولود معمري تيزي وزو	رئيسا.
أ.د/ نورة بعيو	أستاذة التعليم العالي جامعة مولود معمري تيزي وزو	مشرفًا ومقرّرا.
د/ نعيمة العقريب	أستاذة محاضرة صنف "أ " جامعة مولود معمري تيزي وزو	عضوا مناقشا.

السنة الجامعية 2017/ 2018.

الإهداء:

أهدي هذا العمل إلى:

إلى من قال الله عز وجل في حقهما :" واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل ربي ارحمهما كما ربياني صغيرا".

أمي الغالية...رمز التضحية والفداء رحمها الله وليسكنها الفردوس الأعلى.

أبي الحبيب... الذي مهد لي سبيل العلم وجاهد من أجلنا حفظه الله وجزاه خير الجزاء.

إلى كل أفراد عائلتي االذين أظهروا لي ما هو أجمل من الحياة.

إلى رفيق الدرب الذي ساعدني في مشواري.

إلى كل أصدقائي وصديقاتي وكل من يعرفني من بعيد أو قريب.

أهديكم جميعا هذا العمل.

سليمان وردية.

الإهداء:

أهدي هذا العمل إلى:

من أوصاني بهما القرآن، إلى أغلى ما أملك في الدنيا، إلى التي حملتني وهنا ووضعتني وهنا، وأرضعتني عذب الحنان وصفاء الحب وخالص العطاء، إلى من كانت شمعة تنير دربي، إلى من كانت تسقيني دعاء حتى أواصل مشواري الدراسي "أمي الغالية" أطال الله في عمرها

إلى سندي ودعمي في مشواري الذي علمني حب الخير والعطاء والاعتماد على النفس االذي جعلني أعرف معنى التحدي والنجاح الذي أمل دومًا أن يراني في الطليعة "أبي" رحمة الله وأسكنه فسيح جنانه

- إلى كل عائلتي الكريمة

- إلى كل زميلاتي في الجامعة خاصة زميلتي التي رافقتني في إنجاز هذه المذكرة أختي وصديقتي "وردية"

إلى كل من مدَّ لنا يد العون في إنجاز هذا العمل من قريب أو بعيد

فطمة

كلمة شكر.

أولا الشكر لله الذي وفقنا وأعاننا.

والحمد لله الذي يسر لنا أمورنا.

سبحانه نعم المرشد والمعين.

إلى أستاذتي المشرفة الدكتورة نورة بعيو جزيل الشكر والامتنان على حسن التوجيه والنصح والإرشاد.

وإلى كل من مد لنا يد العون من أساتذة قسم اللغة العربية وآدابها.

مقدّمة

نالت الرواية في العصر الحديث مكانة مهمة بين ألوان الأدب المختلفة، فهي جسر تواصل بين القارئ والروائي ولقد شغلت حيزا كبيرا من اهتمام الدارسين والنقاد، لأنها استطاعت أن تمثل اهتمامات الإنسان وقضاياه وطموحاته وآماله وآلامه، تمكنت من طرح ومعالجة مشكلات مختلفة في مجالات عديدة.

كما تعتبر الرواية النموذج الأدبي الأكثر اشتغالا وانفتاحا على أدب الهامش، إذ تكشف عن حالة الفقر والفساد والطبقية والصراع المتفاقم بين الهامش والمركز.

تأسيسا على ذلك جاءت دراستنا "للغة الهامش في رواية أهل البياض" للروائي مبارك ربيع، والتي بقدر ما هي مميزة بغموضها إلا أنها وحدة متماسكة في بنيتها، منسجمة، تعبر عن رؤية واضحة للحياة في الواقع المغربي.

فرواية مبارك ربيع نموذج فذّ لصورة بلاغية وإشكالية لمآزق ثقافية وسياسية واجتماعية. حيث يكشف مبارك ربيع في روايته (أهل البياض) عن بعض قضايا المسكوت عنها فاضحا ممارسات السلطة الجائرة وتعدياتها على الفئة المهمشة والمنسية ليمنحها مجالا واسعا للتعبير عن أحزانها وآلامها وأناتها الخافتة في ظل نظام مستبد لدى المجتمع المغربي.

ولقد تمكن الروائي أن يعالج الأزمة بأسلوب فنّي وجمالي لافت لانتباه القارئ. فهذا ما أثار إعجابنا، وولّد لدينا رغبة في دراستها ومن أهم الأسباب التي دفعتنا بالنظر في كنة " الهامشي في رواية أهل البياض" لمبارك ربيع أولا وقبل كل شيء ميولنا إلى الجنس الروائي أكثر من الشعر، هيمنة الجنس الروائي مقرونية وسعة إلى نبض العصر الحاضر بمفارقاته وتعقيداته، جدة الرواية، وباعتبارها إعادة بناء للواقع لما تحمله من تجارب إنسانية فعالة والشيء الذي دفعنا بالذات للبحث في هذا الموضوع كوننا نعيش في دائرة جدلية المركز والهامش.

ودراستنا للغة بصفة خاصة كونها مرآة للحضارات والتعبير عن الذات، كما أنه لا يخفى علينا أنها لغة التواصل والتفاعل بين المجتمعات، بالإضافة إلى الدافع المعرفي والبحثي. وعلى ضوء ما سبق يمكننا طرح الاشكاليات التالية:

1. ماذا نقصد بالمركز؟ وماذا نقصد بالهامش؟
2. كيف وفق الروائي بدمج اللهجات في نسجه الروائي ؟.

3. ماهي أهم قضايا وموضوعات المهمشين المتوقع وجودها داخل رواية أهل البياض؟.

4. ماهي الصورة التي تعكسها كل شخصية داخل الرواية؟ وفيما تتمثل نماذج المهمشين؟

بالإضافة إلى التركيز على تبني الأماكن المهمشة، فما هي مميزاتها؟

وللإجابة عن هذه الإشكاليات ارتأينا الاعتماد على طروحات النقد الحواري والنقد الثقافي التي تعد الأنجع كإطار منهجي للدراسة، لأنها تكشف عن الأنساق المضمرة والمسكوت عنها، والتي تتحول إلى آليات إنتاجية للدلالة، كما سنستأنس أحيانا بالمنهج البنيوي االذي يقف عند بنية الخطاب الروائي في تعالقاتها ويسمح لنا بالكشف عن تقابلات المركز والهامش وما ينتج عنها. وعلى إثر ذلك كله تكون رؤيتنا للنص الرّوائي رؤية حداثية والولوج إلى أعماق النص بأمان وفك شفراته، كما يرمي بحثنا هذا إلى تحقيق جملة من الأهداف وتتمثل في:

- تسليط الضوء على قضايا المسكوت عنها والدعوة إلى الالتفات للمهمشين.
- البحث في التشكيل الجمالي لرواية "أهل البياض للروائي المغربي (مبارك ربيع).
- قراءة نقدية جمالية لرواية " أهل البياض وكشف الأبعاد الدلالية لها.

وكما ارتكزت هذه الدّراسة على جملة من المصادر والمراجع بغية تأصيل لغة الهامش واستكناه خبايا الرواية.

ومن أبرزها:

- الجرائم المخلة بالآداب فقها وقضاء لبغال رشيد، العنف ضد المرأة لسهام عبد السلام، معجم مصطلحات الطب النفسي للطفي شرايبي، الخطاب الروائي لميخائيل باختين، البنية السردية في الرواية لعبد المالك مرتاض.

والأمر اللافت لهذه المدونة هو فرادتها في المستويات اللغوية المهمشة، هذا ما أحالنا للاشتغال عليها بغية نفض الغبار عن الفئة المهمشة والكشف عن أغوارها وأبعادها الدلالية ، قصد الخروج عن دائرة النسق المغلق والنمطية لذا اعتمدنا الخطة التالية:

فبالإضافة إلى المقدمة، افتتحنا هذا البحث بمدخل خصصناه لتحديد المفاهيم، وخصصنا فصلين مزجنا فيهما بين النظري والتطبيقي حيث تناولنا في الفصل الأول: المستويات اللغوية وقضايا المهمشين في عالم رواية أهل البياض وتطرقنا فيه إلى تمظهرات لغة المهمشين في عالم

رواية أهل البياض وأهم الموضوعات المتعلقة بالمهمشين، ، أما الفصل الثاني فخصصناه لدراسة علاقة الشخصية و المكان بلغة الهامش في عالم رواية أهل البياض.

حيث قمنا بتحليل الشخصية المهمشة تحليلا بنيويا كاشفا دلالاتها ودرسنا الأماكن المهمشة بنوعيها المفتوحة والمغلقة مع ضبط كل المفاهيم وتطبيق ذلك على المدونة. وتأتي الخاتمة في نهاية الدراسة لتقدم أهم ما توصلنا إليه من نتائج نظرية وعملية وما يفترض أن تكون علمية

وككل دراسة أو بحث اعترضتنا صعوبات ومشاكل لعل أهمها:

– قلة المراجع المتخصصة في دراسة لغة الهامش.

وفي الأخير نستطيع القول أن مبارك ربيع في روايته (أهل البياض) من خلال تشاكل العناصر الروائية، حقق البعد الفني والجمالي على مستوى اللغة والخطاب ككل دون إغفال الأبعاد الاجتماعية والحضارية والإنسانية المتمثلة في رصد المجتمع المغربي بكل خصوصياته، وتسليط الضوء على الجزء المهمش منه

نتمنى أن يكون عملنا هذا قد أضاف إلى البحث العلمي المتخصص جديدا، علما أن القيمة الفعلية لهذا المنجز تستمد وجودها من نقد لجنة المناقشة (الموقرة) ومن كل نقد متخصص يضيء ظلماته ويقوّم اعوجاجاته.

مدخل: تحديد الجهاز المفاهيمي.

- أولا: مفهوم اللغة.
- ثانيا: ثنائية المركز والهامش.
- ثالثا: مفهوم الشخصية.
- رابعا: مفهوم المكان/ الفضاء.

أولا :مفهوم اللغة:

لقد ميز الله سبحانه وتعالى الإنسان عن سائر خلقه بالعقل أولا، والقدرة على التعبير ثانيا، سواء كان ذلك تعبيرا عن ذاته أو ما يدور حوله، وبذلك مكنّه الله عز وجل من التسيير والتحكم في إدارة الحياة، وبنائها وقيادتها وتسخيرها لخدمة حاجاته واتجاهاته، إذ اللغة مرهونة بالوجود والفكر، فلا يمكن الفصل بينهما، أي أنهما بمثابة قطعة نقدية واحدة بوجهين. حيث يقال:" اللغة مسكن الوجود".

ويقول عبد الملك مرتاض:" اللغة هي التفكير، وهي التخيل، بل لعلها المعرفة نفسها، بل هي الحياة نفسها، إذ لا يعقل أن يفكر المرء خارج إطار اللغة، فهو لا يفكر، إذن إلا داخلها أو بواسطتها، فهي التي تتيح له أن يعبر عن أفكاره فيبلغ ما في نفسه، ويعبر عن عواطفه فيكشف عما في قلبه... والإنسان دون لغة يستحيل إلى لا كائن، إلى لا شيء!".[1]

يتبين من هذا السياق أن اللغة عبارة عن ملجأ الحياة، وهي علاقة بين العقل والنطق، وهي كينونة الوجود، ووسيلة للتفكير والتخيل، هي المعرفة، هي الحياة هي المجال الفسيح للتعبير عن مكبوتات الإنسان وما يجري من حوله، فبدون اللغة لاوجود للمرء، أي انعدامه وانقراضه.

تعتبر ظاهرة اللغة من الظواهر التي تعكس بشكل جلي المفاهيم الاجتماعية للأفراد. إنها مرآة تعكس البعد الواقعي الاجتماعي والطبقي، إذ تتلون اللغة بالسياقات الاجتماعية التي تنتمي إليها ، حيث تعبر عن الهوية الجماعية للقوم، والقضايا التي تتمحور حولها حياة الأفراد، فيها يتمكن أصحاب الواقع المتعفن والمهمشين والمشردين والمستبعدين من المجتمع من فك قيود الهيمنة والسلطة والتبعية والتحرر من مشكلات في غاية الخطورة على حياتهم، والتي حتما ستؤثر على حياة الفرد" مثلا التعصب على القبيلة مثلما فعل الصعاليك عندما تمردوا على قبيلتهم وما جر عن ذلك تهميش المجتمع لهم.

وما يحدث الآن في السودان وغيرها من مناطق العالم، إذ يتخذون اللغة بكل أنواعها وتجلياتها مسلكا للتعبير والدفاع عن ما يعيشونه من صراعات واضطهادات ومآسي، ولكن لا

[1] – عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية (بحث في تقنيات السرد)، عالم المعرفة، الكويت : 1998، دط. ص 93.

يفوت علينا أن هذا التطور للغة في هذا المجال ينجلي عليه بالضرورة تأثيرات سلبية على المجتمع، وبالتالي يكون هناك تضاد للغات واللهجات ما بين فئات المجتمع ، وبذلك تكون اللغة تشخيصا للعلاقات الاجتماعية بين الأفراد أنفسهم أو بين الفرد ومجتمعه، وبين الأفراد والسلطة/ الدولة. فملكة اللغة قناع للخروج عن الهيمنة والسيطرة، ناهيك أن تكون مقاومة لغوية لسلطة الخطاب في حد ذاته.

إن مصطلح (اللغة العربية) كباقي المصطلحات الأخرى، له مفهوم لغوي وآخر اصطلاحي.

1. مفهوم اللغة:

أ. لغة:

ورد في (لسان العرب) لابن منظور اللغة "من مادة (ل غ و) واللغو واللغا السقط وما لا يعتظ به من كلام وغيره ولا يحصل منه على فائدة ولا نفع، وقال الأصمعي: ذلك الشيء لك لغو ولغا ولغوى، وهو الشيء الذي لا يعتد به.

وقال الأزهري: واللغة من الأسماء الناقصة ، وأصلها لغوة من لغا إذا تكلم. واللغا: مالا يعتد بها في المعاملة".[1]

وذكر البستاني في (محيط المحيط) " اللغو: ضم الكلام ما هو ساقط العبرة منه وهو الذي لا معنى له في حق ثبوت الحكم ، واللغو من اليمين وهو أن يحلق على الشيء وهو يرى أنه كذلك وليس كما في الواقع.

وقيل اشتقاق اللغة من لغى بالشيء أي لهج به، وأصلها لغي أو لغو. والنسبة إلى اللغة لغوي بضم اللام ولا تقل لغوي بفتحها".[2]

ب. اصطلاحا:

اختلف العلماء والدارسون قديما وحديثا في تقديم تعريف محدد للغة ، ويعود سبب ذلك إلى ارتباط اللغة بالكثير من العلوم، " لم يتفق علماء اللغة على تعريف واحد للغة، فكل عالم ينظر

[1] – ابن منظور، لسان العرب، ج12، (مادة لغو) ، ص 299.

[2] – بطرس البستاني، محيط المحيط، مكتبة لبنان، بيروت : 1987 ، دط.(مادة لغو) ، ص 820.

إليها من زاوية العلم الذي يعمل في ميدانه، فنظر فريق من الباحثين إلى اللغة ، من زاوية الفلسفة المنطقية، ونظر إليها فريق آخر من الناحية العقلية النفسية، كما عالجها فريق ثالث من زاوية وظيفتها في المجتمع. ولكل فريق آراؤه الخاصة في تعريفها".[1]

" ولعل أهم وأصدق تعريف للغة هو ذلك الذي قدمه أبو الفتح عثمان ابن جني (ت 392هـ) والذي تبناه من تبعه من بعده من اللغويين، حيث قال في الخصائص، في باب القول عن اللغة، وهي ما يلي: (أما حدها فإنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم).

وهو تعريف يتفق مع تعريفات علماء اللسانيات المحدثين، ففي قوله أصوات دلالة على المرجعية الصوتية للغة، بما تحتويه من علامات لغوية التي تتميز بخطبة الدال الصوتية".[2]

من خلال ما سبق يتبين لنا أن اللغة ظاهرة صوتية، ولها وظيفة اجتماعية وغاية تواصلية وتبليغية للتعبير عن أغراض واحتياجات الإنسان. كما أن اللغة تختلف باختلاف المجتمع فهي رافد ضروري ومقوم أساسي يشترك فيه جميع أفراد القوم الواحد.

2. مفهوم اللغة الفصحى:

تحتل اللغة الفصحى أعلى قمة في التعبير، حيث تتوفر فيها الشروط المثالية للفصاحة والبلاغة على الصعيد النحوي والتركيبي.

أ. لغة:

اللغة الفصحى من الفصاحة. وورد في لسان العرب:" فصح = الفصاحة = البيان وتقول رجل فصيح وغلام فصيح أي بليغ ، ولسان فصيح أي طليقا.[3]

---

[1] – أيميل بديع يعقوب، فقه اللغة العربية وخصائصها، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان: 1982، ط1، ص 13.

[2] – سلطاني نعمان، الكشف اللغوي عن التعدد اللهجي في لغة القرآن، رسالة ماجستير، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة الجزائر : 2006، ص 36.

[3] – ابن منظور، لسان العرب، تج: عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة : دت، ج3. ص 3419، مادة (ف، ص، ح).

أما في معجم مختار الصحاح:" ف.ص.ح رجل (فصيح) وغلام فصيح أي بليغ، ولسان فصيح أي طليق ويقال لكل ناطق فصيح ومالا ينطق فهو أصم ... إلخ".[1]

بمعنى ذلك أن اللغة الفصحى هي طلاقة اللسان والتخلص من عقد الكلام وشوائبه. إذن: هي الوضوح والبيان

ب. اصطلاحا:

إن اللغة الفصحى في المنظور العربي هي:" لغة القرآن الكريم والتراث العربي جملة والتي تستخدم اليوم في المعاملات الرسمية، وفي تدوين الشعر والنثر والإنتاج الفكري عامة".[2]

أي أن اللغة الفصحى هي اللغة التي نزل بها القرآن ، وتحدث بها الرسول صلى الله عليه وسلم في أحاديثه المروية، وهي لغة الأدب نثره وشعره، ويتم بها العودة إلى التراث العربي، لها نظام كتابي متميز، بالإضافة إلى أنها اللغة الرسمية في الإنتاج الفكري عامة، حيث تتداول في المدارس والجامعات والمعاهد المختلفة. وتستعمل في المعاملات الرسمية كالمحافل الدولية والندوات.

كما أنها تخضع لقوانين وقواعد محكمة. " أول لغة استخدمها العرب في حياتهم وعرفت بهم وعرفوا بها، إنها اللغة التي نزل بها القرآن وسعت كل أحلامه وقواعده وقوانينه وعلومه، إنها لغة العقيدة والدين الإسلامي".[3]

وورد في القرآن الكريم قوله تعالى:" وقل ربي اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقه قولي".[4]

يتضح من التعاريف السابقة أن اللغة الفصحى هي أن يستطيع الفرد التعبير عن شيء ما بكل بساطة وطلاقة دون إبهام وغموض.

---

[1] – الرازي، مختار الصحاح، رتبة محمود خاطر، دار الفكر، بيروت. دط : 2006، مادة (ف ص ح)، ص 211.

[2] – أيميل بديع يعقوب، فقه اللغة العربية وخصائصها، ص 144.

[3] – إبراهيم كايد، العربية الفصحى بين الازدواجية اللغوية والثنائية اللغوية، المجلة العلمية لجامعة الملك فيصل، مجلد 3، ع1 : 2002، ص 61.

[4] – سورة طه: الآية 25، 26، 27.

مفهوم اللغة العامية:

العامية عامة هي التي تمازج فيها الخطأ مع الصواب، فأنتج ذلك المزيج رافدا هجينا تبناه الناس لسهولته وتحرره من القوانين المضبوطة.

أ. لغة:

جاء في معجم الوسيط مفهوم العامية على النحو التالي: "العامية مشتقة من عمّ، عمّ الشيء عموما= شمل.

الأعمّ: الجمع الكثير من الناس، وخلاف الأخص العام: الشامل وخلاف الخاص. العامّة: من الناس خلافة الخاصة، جمع عوام ويقال جاء القوم عامة يعني جميعا. العامي المنسوب إلى العامة ومن الكلام ما نطق به العامة على غير سنن الكلام العربي.

العامية لغة العامة وهي خلاف الفصحى".[1] أي أن العام مقابله هو الخاص فالعام شائع على خلاف الخاص الذي تتصف به نخبة معينة.

ب. اصطلاحا:

اللغة العامية هي تلك: اللغة التي تستخدم في الشؤون العاديّة، والتي يجري بها الحديث اليومي، ويتخذ مصطلح العامية أسماء عدة عند بعض اللغويين المحدثين ك(اللغة العامية) و(الشكل اللغوي الدارج) و(اللهجة الشائعة) و(اللغة المحكية) و(اللهجة الدارجة) و(اللغة الدارجة) و(الكلام العامي) و(لغة الشعب) ....الخ"[2]

وبهذا يمكن القول: إنّ العامية هي كل ما نطق به أو تكلم به عامة النّاس وتصدر في أحاديثهم فهي لغة المعاملات اليومية، وهي لغة التّواصل غير الرّسمي، فهي اللغة المستخدمة في البيت والشارع وبين مختلف شرائح المجتمع لكونها لغة بسيطة وسهلة وغير معقدة وألفاظها شائعة بين كافة الناس.

[1] – مجمع اللغة العربية بالقاهرة، معجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة : 2004، ط 4 . مادة (عم).

[2] – ايميل بديع يعقوب، فقه اللغة العربية وخصائصها، ص 144، 145.

4. مفهوم اللهجة:

يتداخل مصطلح اللهجة مع العامية، إذ نجد بعض الباحثين والدارسين يطلقون على تسمية العامية على لغة لهجات المحادثة، فهي تلقائية وتتغير تبعا لتغير الأجيال والظروف المحيطة بها، فلكل منطقة لهجة خاصة بها.

أ. لغة:

ورد في لسان العرب أن:" اللهجة من لهج، نقول لهج بالأمر لهجا، ولهوج وألهج كلاهما أي أولع به واعتاده، فاللهج بالشيء: الولوع به. اللهجة واللهجة طرف اللسان، واللهجة جرس الكلام، والفتح أعلى. يقال فلان فصيح اللهجة: أي فصيح اللسان، واللهجة هي لغته التي جبل عليها فاعتادها ونشأ. وقال الجوهري: لهج، بالكسر، به يلهج لهجا إذا أغري به فثابر عليه".[1]أي أن اللهجة هي الولوع بكلام ما والاعتياد عليه.

ب. اصطلاحا:

يصعب علينا وضع حدود مضبوطة لهذا المصطلح، حيث "يطلق مصطلح اللهجة على مجموعة من الصفات اللغوية تنتمي إلى بيئة خاصة ويشترك فيها أفراد البيئة. وبيئة اللهجة هي جزء من بيئة أوسع وأشمل تضمُّ عدة لهجات لكل منها خصائصها لكنها تشترك جميعا في جملة من الظواهر اللغوية التي تيسر اتصال أفراد هذه البيئة بعضهم ببعض، وفهم ما قد يدور بينهم من حديث فهما يتوقف على قدر الرابطة التي تربط بين هذه اللهجات".[2]

وأبرز ما يميز لهجات اللغة الواحدة بعضها من بعض " الأصوات وطبيعتها وكيفية صدورها، فالذي يفرق بين لهجة وأخرى هو بعض الاختلاف الصوتي في غالب الأحيان".[3]أي أن اللهجة مجموعة من المميزات اللغوية التي يتميز بها أفراد الأمة الواحدة أو المنطقة الواحدة، إذ يمكن أن نعتبر اللهجات شكلا محليا للكلام الذي نستعمله في محيط واسع.

---

[1] – ابن منظور، لسان العرب، ج12 ، ط3.ص 340، (مادة لهج).

[2] – إبراهيم أنيس: اللهجات العربية، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، دط، دت، ص 16.

[3] – المرجع نفسه، ص 17.

ونصل إلى خلاصة القول: إنّ اللغة العامية (بعض اللهجات) واللغة العربية الفصحى على علاقة جدلية وهي علاقة الخاص بالعام، حيث اللغة الفصحى هي الأصل واللغة العامية(بعض اللهجات) هي الفرع. فيمكن لهذه اللهجات أن تتطور وتتحول إلى لغة رسمية إذا اندثرت اللغة الفصحى، فهذه الأخيرة يمكن أن تتحول إلى لهجة أو لهجات بفعل ظروف معينة.

ثانيا :ثنائية المركز والهامش

يكثر في الآونة الأخيرة الحديث عن ثنائية« المركز والهامش، وبذكرهما يتبادر إلى الذهن مباشرة صورة أصل الأشكال الهندسية، والتي تتمثل في الدائرة. فلكل دائرة مركز ومحيط، وعليه يتحدد الموضع والموقع، الهامش والمتن الطبقة العليا والطبقة الأدنى، فحيثما حلّ المرء إلا والهامش والمركز يتبعانه كالظل، إذ لا يعقل أن يعيش المرء أو المجتمع في دائرة بلا مركز أو بلا هامش أو أطراف».[1]

وهذا كله ما جعل مصطلح (المركز والهامش) من أكثر المصطلحات غموضا وإثارة للجدل والصراع، إذ ما يراه أحد منا مركزا يراه غيرنا هامشا والعكس صحيح.

وهذه الإشكالية تثير مجموعة من التساؤلات، وللإجابة عنها يتطلب الولوج إلى عالم الثقافة المركزية والثقافة الهامشية لتقريب الصورة إلى المتلقي / القارئ. ففيما يتمثل المركز؟ وفيما يتمثل الهامش؟ وهل يمكن إقامة حوار بين هذين الطرفين غير المتكافئين؟.

1/ **مفهوم المركز:**

أ – **لغة:** جاء في "لسان العرب": « مادة... " ر– ك – ز، ركز المركز، غرزك شيئا منتصبا كالرمح ونحوه وتركيزه ركزا في مركزه، وقد ركزه، يركزه ويركزه ركزا وركزه غرزه في الأرض... ومركز الرّجل موضعه ... ومركز الدائرة وسطها».[2]

[1] – ينظر، صورية جيجج: إشكالية المركز والهامش في الأدب" مجلة المخبر، جامعة بسكرة، الجزائر: 2014 ، العدد10.ص 11.

[2] – ابن منظور، لسان العرب، مج6، دار صادر، بيروت: 2000، ط1. مادة (ركز)، ص252.

يتبين من خلال التعريف أنّ المركز هو الشيء المستقر والثابت في الأرض، ومركز الرجل هو موقعه لأنّ الموقع يخالف الموضع، فكل المواضيع ليست مواقع، ولكن يمكن للموقع أن يكون موضعا في ذات الوقت، والخلاف بينهما يكمن في الإستراتيجية لأن المواقع هي التي تخضع لإستراتيجية معينة، وبما أن مركز الدائرة وسطها، والنقطة التي ينبعث ويتحدد منها المحيط، فإن للمركز إستراتيجية مهيمنة ومسيطرة على محيطه أو هامشه وأطرافه.

ورد في قاموس المحيط: « ركز الرمح يركزه، ويركزه: غرزه في الأرض...والمركز: وسط الدائرة. وضع الرّجل ومحله حيث أمر الجند أن يلزموه والمركز الرجل العالم العاقل السخي الكريم... والركيزة دفين أهل الجاهلية وقطع الفضة والذهب من المعادن...».[1]

يتضح مما سبق أنّ المركز هو النقطة التي ينتشر منها محيط الدّائرة والركيزة بمعنى الموقع الذي يدفن أهل الجاهلية، كما أنّ المركز يدل على شيء مادي ذات قيمة عالية مثل الفضة والذهن وله دلالة معنوية كالعقل الساذج والكريم. وللمراكز مواقع معينة ذات إستراتيجية تتخذها في الحرب أو السلم وفي تدابيرها.

مركزي: الذي تتشعب منه فروع ترتبط به وترجع إليه.

مركزية: جمع السلطة في مركز واحد.

تركز: أي أصبح أكثر قوة وكثافة وانصب على مسألة أو عمل وانحصر فيهما.[2]

يتبين مما سبق أنّ المركزي هو الأصل أو الأساس الذي تتفرع منه الفروع والأطراف الأخرى والتي تكون على علاقة به (المركز).

ب/ اصطلاحا: إنّ مصطلح المركز تعددت مفاهيمه بتعدد المجالات التي تبنيناها والمتمثلة في المجال الاجتماعي، المجال الاقتصادي، المجال السياسي، والمجال الأدبي.

---

[1] – الفيروز أبادي، قاموس المحيط، ج1. دار الكتب العلمية، بيروت: 1999، دط. مادة (ركز).

[2] – أنطوان نعمة وآخرون، المنجد الوسيط في اللغة العربية والمعاصرة، دار المشرق، بيروت: 2003، ط1. مادة (ركز).

اجتماعيا: وهو تعبير يستخدمه علماء الاجتماع «... بمفهوم اجتماعي وجغرافي للدلالة على العلاقات القائمة بين قلب القوة والثقافة لمجتمع ما ومناطقه المحيطة»[1] والمركز بوصفه مصطلحا يرد بكثرة في علم الاجتماع لأنه يشير إلى مستوى عال من التركيز في الهيمنة والسيطرة، « فهو عملية ايكولوجية تتجمع بمقتضاها الخدمات في منطقة محددة، وهي عادة ما تكون مركزا الوسائل الاتصال والمواصلات».[2]

يتجلى مصطلح المركز اجتماعيا في تقسيم المجتمع إلى طبقات تبعا لفئات معينة من المجتمع، فهناك طبقة الأسياد والأكثر غنى، فيما يقابلها طبقة الأدنى والأكثر فقرا، وعلى إثر هذا التفاوت ينتج التمييز والاختلاف الاجتماعي بين هاتين الطبقتين. فلكل طبقة عادات وتقاليد خاصة بها، وعليه لا يمكن للطبقة الأدنى ان تمارس عادات الأسياد، فالسيد يحكم العبيد ويفرض هيمنتة عليه ويستغله بأبشع الطرق.

منه يتضح أنّ للمركز الهيمنة والقوة على الهامش والأطراف، إذ المركز يحيلنا مباشرة إلى المدن الكبرى حيث تكون فيه مختلف التجمعات والدوائر والمؤسسات الكبرى والتي تنطلق منها تسيير واتخاذ القرارات التي تعني بشؤون الحياة اليومية فللمركز أماكن خاصة به وللهامش أيضا.

اقتصاديا:

يعني المركز اقتصاديا التقدم والرقي في وسائل الإنتاج، وبالتالي تحقيق إنتاج مكثف في التسوق والتصدير وهذا المصطلح استخدمه "راول بريبيش" حيث قال: « بأنّ الاقتصاد العالمي الحرّ ينقسم إلى دول المركز، الدول الصناعية البالغة التقدم في أوروبا الغربية المتحدة واليابان... وتقوم هذه الأخيرة بتصدير السلع ويعتبر التقدم التقني الذي يسمح بتزايد معادلات الإنتاجية».[3]

---

[1] – ميشل مان، تر: عادل مختار الهواري، موسوعة العلوم الاجتماعية، دار المعرفة الجامعية، مصر: 1999، دط. ص 99.

[2] – محمد عاطف عيت، قاموس علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، السويس، مصر : دت ، دط. ص 52.

[3] – ميشل مان، تر: عادل مختار الهواري، موسوعة العلوم الاجتماعية، ص 99.

هذا التقسيم الاقتصادي بين دول العالم إلى ارتقاء منتوجات وصناعات دول المركز، في تفوقها في المجال الاقتصادي هو السبب في تحكمها في دول المحيط، فتشعر هذه الأخيرة بالإحباط والتهميش والاستعداد عن الحضارة والرقي، إن دول المركز تقوم بتصدير المواد المصنعة مما يسمح لنا بتزايد المعادلات الإنتاجية، وبذلك تشهد هذه الدول تقدم تقني سريع وتلقائية في ارتفاع وتيرة الاقتصاد، في حين نجد دول الهامش أو المحيط مازالت إلى حدّ اليوم تعتمد على البترول مواد الخام، وهي الدّول النّامية وفي طريق النمو، أي دول العالم الثالث.

سياسيا: نقصد بالمركز السياسي سلطة الدولة أو مكان تواجد الإدارات التابعة لدولة حيث «تكون الدولة في مركزها أشد مما يكون في الطرف والنطاق واذا انتهت إلى النطاق الذي هو الغاية عجزت واقتصرت عما وراءها، شأن الأشعة والأنوار إذا انبعثت من المركز والدوائر المنعكسة على سطح الماء من النقر عليه».[1]

وتسقط الدّولة «...إذا غلب مركزها فلا ينفعها بقاء الأطراف والنطاق بل تضمحل مع الوقت، لأن المركز كالقلب الذي ينبعث منه الروح، فإذا غلب القلب وملك انهزم جميع الأطراف».[2]

ولقد قدم عدد كبير من الباحثين تحديدات مختلفة لمصطلح المركز من أهمها دراسات " كيلسن" الذي يوحي إلى أنّ المركز: « هو القانون الأمثل بكل معاييره».[3]

يرى " ابن خلدون" أنّ المركز السياسي هو الدولة، وهي نقطة الإشعاع التي تنبعث منه الأحكام حيث تكمن قوة الدولة في مركزها، فبسقوط المركز تضمحل الأطراف، ولكن لما تنهزم الأطراف لا يؤثر ذلك على المركز، فالمركز هو القلب النابض لدولة لأن المركز كما أشار " كيلسن" هو القانون أي هو القوة التي تنظم الجميع وتتحكم فيهم، كما يعتبر أن المركز هو الوجهة

---

[1] – عبد الرحمان أبو زيد الدين ابن خلدون: ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر " مقدمة العلامة ابن خلدون" دار الفكر، بيروت: 2007، دط. ص 174.

[2] – المرجع نفسه، ص 174.

[3] – محمد عاطف غيث، قاموس علم الإجتماع، ص 56.

الصحيحة وبمثابة قانون ومسير مثالي لجميع المواطنين، فالقانون فوق الجميع ويحقق المساواة والعدالة.

« فلا حق ولا باطل، ولا صواب أو خطأ، ولا عدل أو مساواة إلا ما تراه القوى الكبرى أو المركز».[1]

هذا يعني أنّ المركز يمثل القوى العظمى أو الكبرى، وقوامه الهيمنة والسيطرة وفرض جميع القرارات.

أدبيا:

لما نتحدث عن الأدب، نتذكر أن هذا الأخير مرهون بعدة جوانب وتتمثل في: دينية، سياسية، اجتماعية، تاريخية، ثقافية، فنية، جمالية...إلخ.

وبناء على ذلك تهمش آداب وتبرز بعضها للوجود فتحتل موقع الصدارة، ولهذا تتباين وتختلف التعاريف التي تتناول الأدب المركزي حيث أنّه عرف ب« الأدب البلاطي، وأدب يشتغل بحياة الترف التي يحياها الساسة ورجال الدّين أحيانا».[2]

ومنه يتضح أنّ الأدب المركزي هو الأدب الذي تنتجه الطبقة العليا في المجتمع وهو الأدب الذي يحظى بالاهتمام والرعاية من طرف السلطة، أي هو أدب أصحاب الترف والسلطة ورجال الدين الذين كانوا يحتكمون إليهم الأفراد أو شيوخ القبائل، « هو من يحظى بالرعاية السامية من قبلها، فتقام له المهرجانات والأماسي، ويدرج في المناهج التربوية، وإجمالا هو الأدب الرسمي المتداول».[3]

---

[1] – أكرم حجازي، صراع المركز والهامش، تأملات في شريط العاصفة الشعبية، عن موقع الإلكتروني http://www.almoyaqeb.net//main/articles.action-show-id3ouhtm:، بتاريخ 2013/06/11..

[2] – لعلى سعادة: أدب الهامش نعمة للغناء... وأخرى للبكاء، مقال منشور في ندوات المخبر، الموقع: www.Labrception.net.

[3] - المصدر نفسه.

إنّ هذا الأدب يحظى بالرعاية الفائقة من قبل السلطة، ويكون محط اهتمام لأنّه النموذج المكتمل عندهم لا لكمال التعبير أو لأنه بلغ ذروة جمالية فائقة وإنّما لكونه يوافق السلطة ومخططاتها، ويخدم مصالحها وإنجازاتها حتى وإن كانت فاشلة، فالأدب المركزي هو ذاك الأدب الذّي لا يعارض السلطة ومصالحها حتى وإن لم يكن أدبا مركزيا، فإنه قد يكون أدبا ضمن البرامج الدّراسية وتقام له المهرجانات والاحتفالات، ليس هذا فحسب بل إنّه سوف ينال شهرة واسعة بفضل التوزيع والإشهار.

وأهم السبل التي يتبناها وينتهجها الكاتب والدولة على حد سواء لأخذ موقع مركز رعاية الآداب «... وهي إعالة الكاتب عن طريق شخص ما أو مؤسسة يحميانه، ولكنهما ينتظران منه بالمقابل إشباع رغبتهما الثقافية والعلاقة بين التابع والسيد»[1] أي أن الكاتب يحظى بالرعاية من قبل مؤسسة لنشر آدابه ويحظى بالحماية والإعالة الكافية، لكن بالمقابل عليه أن يشبع رغباتها الثقافية ولا يعارضها، ومن هنا تظهر علاقة أخذ وعطاء بين السيد والتابع له وعلى مرّ الأجيال تجسدت رعاية الدولة للآداب في إعطاء نفقات منظمة أو تخصيص وظائف رسمية، وبناء على هذه الرعاية سوف يتداول هذا الأدب بين جميع الناس، بالمقابل هذه الرعاية الآداب أكسبت الدولة «... ملامح ما أسمته بالجمهورية العالمية للآداب التي تضم مختلف الثورات الأدبية لشعوب، وعاصمة هذه الجمهورية أو السيدة الأولى على هذا المجال الأدبي العالمي هي باريس وينافسها على السيادة كل من برلين ولندن، صاحبتي الآداب الكبرى».[2]

إن التشهير بالآداب وتقديم الرعاية الخاصة لها أكسبت الدول ما يسمى بالجمهورية العالمية للآداب وعلى رأس تلك الدول نجد باريس وينافسها كل من برلين ولندن، صاحبتي الثقافة الهائلة ومصطلح عالمية الآداب ينطلق أساسا من تجاوز الأدباء حدود ثقافاتهم القومية ويعترف بهم من قبل هذه المراكز، وهذا الاعتراف هو اعتراف عالمي يسمح لهم بتوسيع نطاق أدبهم.

---

[1] – ليلى جغام، وصف التجربة الشعرية للشاعر رضا ديداني: ممثل أدباء الهامش بالجزائر، مقال منشور في ندوات المخبر، قسم اللغة العربية، جامعة بسكرة، www.Labrception.net. ، فيفري 2011.

[2] – روبيرت إسكاربيت، سوسيولوجي الغرب، عويدات للنشر والطباعة، بيروت: 1999، ط3.ص 93.

2- مفهوم الهامش:

بما أنّ الدائرة أساس الأشكال الهندسية ووسطها يمثل المركز فإن محيطها يمثل هامشا.

أ – لغة: جاء في " لسان العرب" لابن منظور: « همش، والهمشة: الكلام والحركة، همش وهمش القوم فهم يهمشون وتهامشو والمرأة همش الحديث بالتحريك تكثر الكلام وتجلب، ويقول ابن الأعرابي:

الهمش والهمش كثرة الكلام في غير صواب وأنشد:

وهمشوا بكلام غير حسن».[1]

وورد في "قاموس المحيط" تعريفا اخر للهامش ويتمثل في« الهامش حاشية الكتاب».[2]

إن الهامش من الهشة وهي صفة من الصفات البذيئة والسلبية، فهذه الكلمة تدل على كثرة الكلام والحركة، أي الكلام الذّي لا يجدي أي منفعة لصاحبه فمثلا: المرأة الثرثارة تحدث الجلبة و«الهامش حاشية الكتاب». بمعنى إضافة شيء ثانوي أو تعليق بسيط للمتن أو الموضوع، أي إضافة ملاحظات على هامش الصفحة أو ما يعرف بحافتها وهي إضافة جديدة.

والإنسان الذي يعيش بعيدا عن المؤسسات الاجتماعية وعن مجتمعه هامشي بمعنى « الذّي يعيش منفردا غير مندمج في المجتمع، مكتوب في الهامش تعليقات هامشية لا دخل له بما هو مهم ولا علاقة له بالنشاط الأساسي».[3]

---

[1] – منى محمد طلبة، عالمية الأدب من منظور معاصر، مجلة عالم الفكر، العدد2، مجلد33، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، أكتوبر/ ديسمبر 2001، ص 162.

[2] – ابن منظور: لسان العرب، مج15، مادة (همش)، ص 57.

[3] – الفيروز أبادي: قاموس المحيط، ج2، مادة (همش)، ص 12.

يحيل هذا التعريف مباشرة إلى ما يقال عن المرء أنّه يعيش على الهامش، بمعنى أنّ المرء يعيش في عزلة منفردا عن المجتمع ولا يندمج فيه، ولا يتدخل في العلاقات الموجودة في هذا المجتمع، ولا يمارس عملا خاصا بالمجتمع ولا يتدخل في ذلك من بعيد أو قريب.

ب – اصطلاحا:

انتشرت فكرة التهميش في الآونة الأخيرة انتشارا واسعا، لتمس جميع المجالات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والأدبية " ففانونس باير" يستهل دراسته التاريخية بتوضيح لفظة الهامش إذ يقول أنّ الهامشية تجمع بين المنحرف والمتشرد من الناحية القانونية، وبين المجنون والمدمن من الناحية الصحية، وبين الأمي والمهاجر من الناحية الثقافية، وبين الفقير جدا والعاطل من الناحية الاجتماعية والاقتصادية.[1]

منه يتبين أنّ الهامش ذو أبعاد متعددة ومختلفة، فهذه اللفظة تطلق عامة على المنبوذين والمتشردين والمتمردين على سلطة المركز، فتضطر الدولة أو السلطة أن تستبعدهم عن نظامها.

اجتماعيا:

لقد قسم الغرب العالم إلى مناطق نفوذ ومستعمرات وألحقها على أساس المركز والأطراف وهذه الأخيرة عرفت بالتبعية والاستهلاك، فمناطق الهامش هي التي اندمجت في النظام العالمي، دون أن تتبلور إلى مراكز، فهي أذن تلك المناطق التي تحكم القوى الخارجية في تحديد مدى واتجاه التراكم المحلي فيها، ويطلق مصطلح الهامش الاجتماعي على المناطق التي تجاور المناطق الكبرى، والمنطقة الهامشية هي « ... إقليم يقع على هامش منطقة ثقافية معينة، تلتقي فيه ثقافتان أو أكثر، وتحل فيه سمات الثقافات المجاورة».[2] يعني أن الهامش الاجتماعي هي رقعة جغرافية تجاوز المناطق الأكثر ثقافية، وتكون فيه هذه الرقعة اختلاط لثقافات عدّة، فهذه الجماعة التي تعاني من التهميش تتبهر بسمات ومميزات المركز، فتسعى إلى أن تحصل على مكانة عالية

[1] – انطوان نعمة وآخرون، المنجد في اللغة العربية المعاصرة، ص 149.

[2] – ينظر: مجلة المخبر، العدد 10. 2014.

مرموقة وذلك عن طريق التخلي عن عاداتها وتقاليدها. لكن للأسف ما تلبث إلا أن تجد هذه الجماعة نفسها تحت ظل وسيطرة المركز.

وبذلك لا يمكنها العودة إلى ما كانت عليه، كما انّها لم تستطع تحقيق هدفها والوصول إلى منبع الإشعاع الساطع (مكانة المركز) مهما بلغت واختلفت طرقها.

اقتصاديا:

يطلق على الدول السائرة في طريق النّمو دول الهامش، تلك الدول الموجودة في قارة افرقيا، أمريكا وآسيا، إذ تعتمد هذه الدول على تصدير مواد الخام والمواد الأولية، ولقد كان أول استخدام للهامشية كان «... لوصف الإخفاقات الاجتماعية المروعة والتي لحقت المعجزة الاقتصادية البرازيلية، لأن انجاز المعدلات المرغوبة في النمو الاقتصادي والتصنيع، قد أفضى إلى حدوث خسارة كاملة في المعاملة الصناعية».[1]

بمعنى ذلك أنّ الهامشية في الاقتصاد يقصد بها أول الإخفاقات والفشل الذي شهدته الاقتصادية البرازيلية، حيث حدثت خسارة في إطار النمو الاقتصادي والصناعي. فبفضل التطور التقني والصناعي حلت الآلة مكان العامل وتعرض لاستبعاد من مكان عمله، وبالتالي توقفت أجرته وأصبح بطالا وبحاجة إلى دخل يسد كافة احتياجاته. واستخدمت أيضا التهميشية لعزل الدّول وإبعادها عن التدابير الاقتصادية العالمية، حيث أن دول العالم هذا « لا يملك المواد ولا الأسواق المحلية التي في مقدورها جذب المستثمرين الأجانب فإنّه لم يعد يستطيع المشاركة بشكل مؤثر في التدبير الاقتصادي العالمي ومن ثم يمكن القول أنّه أصبح يقف على الهامش».[2] وهذا شأن معظم دول العالم الثالث حيث أنّها لا تملك المواد والأسواق المحلية التي تعمل على جذب المستثمرين الأجانب ليشكل بذلك قوة اقتصادية، ولكي تحقق الاقتصاد العالمي الهائل، فتهيمن

[1] – محمد عاطف غيث، قاموس علم الاجتماع، ص 277.

[2] – ميشال مان، موسوعة العلوم الاجتماعية، ص 412.

على الأسواق، وفيه هيمنة الاقتصاديات الآن تصنيعا وتفوقا على الآخر مما يجعله مستهلكا تابعا ويفقد مع هذه التبعية كل مقومات الذاتية.

سياسيا:

تتشكل فيه سلطة سياسية نافذة على حساب أخرى، إمّا لضعفها أو لعجزها كما ينظم الجماعة نظاما سياسيا معينا، ومساهمة الأفراد ضرورية لنجاح الجهد الجماعي، لكن قد تتعارض رغبات الأفراد مع رغبات الجماعة، ويحدث بينهما الصراع والتنافس، فيهمش بعض الأفراد ويستبعدون عن الجماعة وعن نظامهم، وهذا ما حدث لصعاليك في عرف النظام القبلي، فلقد تبنى شعراء الصعاليك في منظور ثنائية المركز والهامش خطابا انتهج النقد السياسي خلفية له ليتبنى تفكيرا معارضا للأنظمة السياسية التي هي عنوان لكبت الحريات، ولذلك كان الشاعر في عزلة وسجن واغتراب.

« ...فالفرد إذ كان يمثل المركز ولم يكن مخلصا لمركزه، فسوف ينتقد من قبل الآخرين، ويكون انتماؤه للجماعة موضع تساءل، وقد يعزل ولكن الرادع الوحيد يبقى في عزلة معنويا، وفي التهديد بقطع الصلة التي تشده للجماعة».[1]

بمعنى ذلك أن الفرد إن لم يكن مخلصا لسلطته أو لمركزه، فإنه يستبعد عن هذه الجماعة ويصبح في عزلة معنوية، ورويدا رويدا إلى أن تقطع صلته عن الجماعة.

أدبيا:

يتخذ مفهوم الهامش بمرجعية المركز من حيث الخروج عن السائد أو عن المألوف، ونقصد به الموضوع الذي يصنف خارج المؤسسة الثقافية أو دون رعايتها أو حتى موافقتها أو خارج معاييرها وقيمتها الأخلاقية والسياسية والاجتماعية. إذ يمكن اعتبار أدب المعارضة السياسية أو أدب الرفض أو أدب الذي يعالج قضايا الأقليات والفقر والتسول والتشرد موضوعا من موضوعات

[1] – ميشال مان، موسوعة العلوم الاجتماعية، ص 412.

الهامش أو من أدب الهامش، والأدب الهامشي « هو كل أدب ينتج خارج المؤسسة سواء كانت سياسية أو اجتماعية أو أكاديمية».[1]

بمعنى أنّه ذاك الأدب الذّي ينتجه الأفراد دون أن تتدخل فيه إحدى المؤسسات سواء أكانت أكاديمية أو سياسية أو اجتماعية، أي لا يحظى بالرعاية والاحتضان من قبل المؤسسات أو السلطة، إنما يسلط على هذا الأدب النبذ والرقابة والاستبعاد كليا عن ضوء دائرة الثقافة والحرص على عدم انتشاره لأنه لا يراعي ولا يخدم قوانين وشروط المؤسسة والسلطة.

وهناك من الدارسين من يرى أن أدب الهامش على أنّه « الأدب المغضوب عليه من طرف المؤسسة إما لأنّهم يحاربونها علنا، أو يقدمون بدائل للحياة».[2]

يتبين مما سبق أن الأدب المهمش هو الأدب الخارج عن المألوف أو الأدب الدوني الذي لا تبالي به المؤسسة سواء أكان هذا الأدب يحارب تلك المؤسسة علنا أم أنّه يقدم بديلا عن النظام السائد في المؤسسة أو يقدم وجهة نظر لذلك يحكم على هذا الأدب بالموت، لأنه تجاوز المألوف وتحدى السلطة.

إن معيار الإقصاء والانعزالية يحدد ارتباط الانسان بالعلاقات الاجتماعية، كما أنه معيار أساسي يبين علاقة المبدع بالسياق الثقافي للقول وبنسق منظومة القيم التي عاش في فظاءاتها من حيث انتمائه الأول فالفرد المبدع لما يخرج عن نظام الجماعة يكون إبداعه مرتبطا ارتباطا وثيقا بالحالة النفسية التي تعيشها. فموضوعات أدب الهامش مرتبطة بالمعاناة النفسية والاجتماعية للمتشردين والمتسولين والفقراء.

وعرفه أحد الكتاب المغاربة (أدب الهامش) في قوله: « هو كل أدب لا يعترف بالقوالب الجاهزة التي يفرضها لوبي الثقافة في بلادنا سواء على مستوى معالجة المواضيع والاشكاليات

[1] – ينظر: جان وليام لاييبار، السلطة السياسية، تر: حنا إلياس حنا، منشورات عويدات، بيروت: 1974، ط1. ص 09.
[2] – محمد عاطف غيث، قاموس علم الاجتماع، ص 52.

الراهنة التي تفرض نفسها على المبدع أو على مستوى تقنيات الكتابة الإبداعية ذاتها، فيخرج المبدع عن الأعراف والتقاليد السائدة في الكتابة».[1]

أي أنّ أدب الهامش هو كل أدب لا يعترف بما هو موجود ولا يعتمد على التقاليد التي تفرضها الثقافة، ولا يقبل بتلك القوانين والقواعد التي تفرض على المبدع، وبذلك يخرج عن كل هذه الأعراف والتقاليد السائدة والمألوفة في الكتابة. فيأتي بجديد وبديل ليغير ذلك النمط الذي اعتادوا عليه في الكتابة أو ذلك النمط السائد على العموم، وهكذا يكون متمردا على سلطة الكتابة المركزية، ويشير الناقد (جابر عصفور) إلى ذلك في قوله: « ليست سلطة الدولة ولكنها سلطة الكتابة الكلاسيكية الرومانسية التقليدية، فكل كتابة إبداعية تخرج عن النسق المألوف تعتبر كتابة هامشية».[2] أي أن هذا الناقد أخرج الأدب المهمش من سلطة الدولة وربطه بقواعد الكتابة الكلاسيكية التقليدية. وعليه كل كتابة تبزغ بنور جديد متجاوزة النسق المألوف، محطمة القيود التي تعرقل سبلها، وتخنق جمالياتها، قد يحكم عليها بالفشل، فتعيش في العتمة والظلام ويؤدي بها ذلك إلى الموت دون أن يسمع بها أحد، فمثلا بعض من الشعر الحداثي يعد أدبا هامشيا لكونه خرج عن السائد المألوف وتجاوز تلك التقاليد التي كانت موجودة. وحقيقة الأمر أن المبدع لا يعرف القيود، ولا يعترف بالقوانين، لأنه يعيش في حالة قلق دائمة، قلق السؤال وقلق الفن مما يجعله يسهوا في عالم مجهول مهدما كل ما يعرقل رحلته، ومكسرا لكل للحدود التي تكبح طموحاته وأحلامه، باحثا عن التفرد والتميز عن غيره مستقصيا عن الجديد.

ومن هذا كله اعتبر الأدب النسوي أدبا هامشيا لاعتبارات عديدة، ذلك أن الأدب النسوي يحيل إلى وجود الآخر الذي يتمثل في الأدب الذكوري، بمعنى هناك ثنائية ضدية بين كتابة الرجال وكتابة النساء، فلكل من هاتين الكتابتين خاصية معينة ومن هنا تعددت الآراء وتضاربت

[1] – محمد بن سعيد، أدب الهامش في المغرب، ثورة المرأة، الموقع www :hac,univ.com، ص 765.

[2] – حسن البحراوي، أدب محمد شكري من الهامشية إلى المركزية، مجلة علامات، مكناس، المغرب: 2000 ،ع18.ص 09.

بخصوص هذا الأدب، كما أن هذا الأدب عمل على كسر وهدم أعراف وطقوس سنتها المؤسسة الاجتماعية وتحديدا الذكورية. أي اعتبر الإبداع النسوي منافسة لكتابات الرجل.

إن الأصل في علاقة " المركز " و"الهامش" هي علاقة صراع وتنافس، لذلك كانت علاقة التكامل بينهما نادرة وقليلة، فالتكامل يكون بناء على حاجة كل طرف للآخر، أي أن " المركز" و"الهامش" متتابعان ومتلازمان وراء خلفية الصّراع ولولا وجود " المركز" لما ظهرت هناك " هوامش"، كما أن " المركز" عامل محفز في كثير من الأحيان، لأنه يخلق في " الهوامش: أمالا وأحلاما في الرقي والتطلع إلى الأفضل، وبذلك يخلق الحركية فينتعش الإبداع عبر المنافسة، ويمكن " للمركز والهامش" تبادل الأدوار بالغلبة والقوة، لأنه " المركز" يستوجب الهيمنة والقوة والسيطرة على زمام الأمور.

ثالثا : مفهوم الشخصية:

تتنوع وتختلف مفاهيم الشخصية باعتبارها محرك الأعمال الفنية، إذ تمثل بؤرة يتمحور حولها الخطاب السردي، وذلك نظرا للمكانة التي تحتلها الشخصية بعلاقاتها في الخطاب الروائي وعلاقاتها بالقارئ.

أ. لغة:

جاء في لسان العرب أنها من مادة (شخَّصَ)، و"الشخص: جماعة شخص الإنسان وغيره، مذكر، والجمع أشخاص وشخوص وشخاص... والشخص سواء الإنسان وغيره تراه من بعيد، تقول ثلاثة أشخص: كل جسم له ارتفاع وظهور، والمراد به إثبات الذات فاستعبر لها لفظ الشخص، وقد جاء في رواية أخرى: لا شيء أغير من الله، وقيل: معناه لا ينبغي لشخص أن يكون أغير من الله. والتشخيص: العظيم الشخص، والأنثى شخيصة"[1].

وورد في معجم الوسيط: " شخص الشيء عيَّنه وميزه عما سواه.

[1] – ابن منظور، لسان العرب، ج4، (مادة شخص)، ص 45.

الشخصية: الصفات التي يتميز بها الشخص من غيره، ويقال: فلان لا شخصية له، أي ليس له ما يميزه من صفات خاصة".[1]

الشخصية مشتقة من التشخيص الذي يستمد مادته من تشخيص الحالة في علم النفس ثم توسع فأصبح من عناصر الكتابة وتشخيص الأحداث. والشخصية بهذا المفهوم تعني الفرد بكل ما يميزه عن غيره من صفات فيزيولوجية ووجدانية وعقلية في حالة تفاعلها وتكاملها في شخص معين، أما الشخصية عند (يوسف مراد) هي:" الصورة المنظمة المتكاملة لسلوك فرد ما، يشعر بتميزه عن الغير، وليس مجموعة من الصفات، وإنما تشمل في الآن نفسه ما يجمعهما وهي الذات الشاعرة وكل صفة مهما كانت ثانوية تعبر إلى حد ما عن الشخصية بكاملها ...".[2]

وعليه يمكن تحديد مفهوم الشخصية على أنها مجموعة من المواصفات التي تميز شخصية عن أخرى

ب. اصطلاحا:

استنادا لما ذهب اليه عبد السلام فاتح ، فأن لفظة (الشخصية) تشير إلى أساليب سلوكية وإدراكية ترتبط بعضها ببعض في تنظيم معين، كون منها كلا موحدا، ومن بين المفاهيم المتداولة نجد ما يقوله (ألان روب جريبة) عن الشخصية "كلنا نعرف معنى هذا، إن الشخصية ليس أي ضمير ثالث مجهول مجردا، إنها ليست فاعلا بسيطا لفعل وقع، فالشخصية يجب أن تتمتع باسم علم ...يجب أن يكون لها وظيفة وإن كانت لها أملاك فهذا طيب جدا ثم أخيرا يجب أن يكون لها طابع ووجه يعكس هذا الطابع وماض قد شكل هذا الطابع وذاك الوجه".[3]

يعني أنه يرى أن للشخصية وظيفة تمارسها وماض قد عاشتها، "فالشخصية هي عنصر البناء الاجتماعي في كافة مستويات المجتمع".[4]

---

[1] – مجمع اللغة العربية بالقاهرة، معجم الوسيط، (مادة شخص)، ص 458.

[2] – عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية (بحث في تقنيات السرد)، ص 44.

[3] – عبد السلام فاتح: ترييف السرد، خطاب الشخصية الريفية في الآداب، نقد أدبي، 2007، ط1، ص 27.

[4] – ناصر العجبلان: الشخصية في قصص الأمثال العربية، المركز الثقافي العربي، لبنان، دط، 2009، ص 54.

و"اعتبر تزفتان تودوروفTzvitan Todorov أن مشكلة الشخصية هي قبل كل شيء مشكلة لسانية، والشخصية لا وجود لها خارج الكلمات، لأنها ليست سوى كائنات من ورق"[1]

أما ميخائيل باختينMikhaïl Bakhtine فهز يركز على الدور الأساسي للشخصيات ومدى أهميتها في الخطاب الروائي حيث يقول:" إن فعل الشخصية وسلوكها في الرواية لا زمان، سواء لكشف وضعها الإيديولوجي وكلاهما أو لاختبارهما".[2]

ويعرفها (فيليب هامون Philippe Hamon) على أنها "علامة فارغة [...] أي بياض دلالي لا قيمة له إلا من خلال انتظامها داخل نسق محدد".[3]

ومن خلال ذلك يتضح أن للشخصية مفاهيم متعددة إما أن تكون لها قيمة داخل نسق معين وإما يمثل للشخصية الروائية مجتمعها بطريقة مثالية، وبالتالي تكون لها وظيفة وتتمتع باسم علم خاص بها.

وحسب ما أشار اليه بشير بويجرة حول الشخصية نجد : " العمود الفقري للعمل الروائي".[4]

وعرفها أيضا "عثمان بدري" على أنّها " العصب الحي والمؤثر للبناء الفني للرواية كله".[5]يعني ذلك أنّها المشارك الفعال في أحداث الرواية إيجابا أو سلبا، فالشخصية هي أساس الحركة وبناء الأحداث في الخطاب الروائي.

رابعا : مفهوم المكان/الفضاء:

1/ مفهوم المكان :

يكتسب المكان في الرواية أهمية كبيرة، لا لأنه أحد عناصرها الفنية، أو لأنه المكان الذي تجري فيه الأحداث وتتحرك خلاله الشخصيات فحسب، بل لأنه يتحول في بعض الأعمال الفنية المتميزة وإلى فضاء يحتوي كل العناصر الروائية.

---

[1] – ينظر: ترفيتانتودوروف، مفاهيم سردية، تر: عبد الرحمن مزيان، منشورات الإختلاف، ط1، 2005، ص71.

[2] – ميخائيل باختين، الخطاب الروائي، تر: محمد برادة، دار الفكر، القاهرة : 1987 ، ط1. ص102، 103.

[3] – فليب هامون، سميولوجيا الشخصيات الروائية، تر: سعيد بنكراد، دار كرم الله، الجزائر :دت، دط. ص 51.

[4] – بشير بويجرة محمد، الشخصية في الرواية الجزائرية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر :1983، دط. ص 5.

[5] – بدر عثمان، بناء الشخصية الرئيسية في الروايات لنجيب محفوظ، دار الحداثة، بيروت : 1986، ط1. ص 07.

أ. لغة:

ورد في (لسان العرب) "لابن منظور" مادة (كوَّنَ) أن مفهوم المكان هو" الموضع أمكنة وأماكن، توهموا الميم أصلا حتى قالوا تمكن من المكان، وقيل الميم في المكان أصل أنه من التمكن دون الكون، والمكانة المنزلة يقال: فلان مكين عند فلان بين المكان والمكانة والوضع".[1]

كما توفر أيضا في هذا المعجم في إطار هذا المفهوم: " المكان والمكانة واحدة، المكان في أصل تقدير الفعل مَفْعَلٌ لأنه موضوع الكينونة، الشيء فيه والدليل على أنه المكان مَفْعَلْ، هو أن العرب لا تقول في معنى هو معنى مكان كذا، وكذا إلا مِفْعَلْ والجمع أمكنة وأماكن، جمع الجمع".[2]

يتضح مما سبق أن للمكان عدة مفردات تتمثل في: الموضع، المنزلة ...إلخ،وجمع المكان أمكنة،وهو مرتبط بالهوية والكينونة والوجود. ومنه أيضا يمكن ترجيح ذلك بأن المكان من (كون) على وزن(مَفْعَلْ) لا كما قال الكوفي:" المكان لغة الحاوي للشيء، كمقعد الإنسان من الأرض وموضع قيامه وإضجاعه هو (فعال) من التمكن، لا (مفعل) من الكون، كالمقال من القول، لأنهم قالوا في جمعه أمكن وأمكنة أماكن"[3] وعليه نقول أن المكان هو الموضع الذي يعيش ويتطور فيه الإنسان وأن المكان مشتق من مادة (كون) وأنها الجذر الحقيقي للمكان.

ب. اصطلاحا:

ربما قد يكون المكان يشكل عنصرا حتميا في بعض الفنون الأدبية، لا يمكن أن نغفل عنه أثناء دراستنا لاسيما الرواية، فهو" فضاء تتعدد وظائفه ومعانيه بالنسبة لصاحبه والآخرين، وكل اعتداء على جزء منه قد يولد ثورة واحتجاجا، وقد يكون في صورة أخرى دلالة على التقرب والجلبة، وهي معان لا تنشأ من (المكان) أصلا بقدر ما تنشأ عن الظواهر المصاحبة".[4]

---

[1] – ابن منظور، لسان العرب، مج 13. (مادة كون)، ص 136.

[2] – المصدر نفسه، 114.

[3] – حنان محمد موسى حمودة: الزمانية وبنية الشعر المعاصر، أحمد عبد المعطى انموذجا، عالم الكتب الحديثة للنشر والتوزيع.، عمان : 2006 ، ط1. ص 17.

[4] – حبيب مونسي، فلسفة المكان في الشعر العربي، منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق : 2001 دط.ص 10.

يعني هذا أن المكان هو وحدة أساسية في بناء العمل الروائي وجزء لا يتجزأ منه، وهو ما يتماشى محتذيا مع الشخصيات والزمن، أي أنه على علاقة وطيدة بهم وليس مجرد خلفية تقع فيه الحوادث ولا تقلى أي اهتمام من قبل الروائي.

والمكان بالمفهوم العام هو الحيز و الفضاء ، وفي هذا الصدد يقول عبد المالك مرتاض:" لقد خضنا في أمر هذا المفهوم، وأطلقنا عليه مصطلح الحيز مقابلا للمصطلحين الفرنسي والانجليزي espace، space [...] ولعل ما يمكن إعادة ذكره هنا أن مصطلح الفضاء من الضرورة أن يكون معناه جاريا في الخواء والفراغ، وبينما الحيز لدينا ينصرف استعماله لتنوع، والوزن والثقل والحجم والشكل...،وعلى حين أن فالمكان نريد أن ننقله في العمل الروائي على مفهوم الحيز الجغرافي وحده".[1]

ويتبين مما ورد أعلاه أن الفضاء أشمل وأوسع من المكان لذلك يطلق على المكان في العمل الروائي الحيز الجغرافي. إضافة إلى ذلك نقول أن المكان في الرواية أيا كان شكله ليس هو المكان في الواقع الخارجي ولو أشارت إليه الرواية أو سمته بالاسم، فإنه يظل إحدى عناصرها فقط.

حيث يرى "بدر عثمان" أنّ:" المكان الروائي والطابع اللفظي فيه، يجعله يتضمن كل المشاعر والتصورات التي تستطيع اللغة التعبير عنها، ذلك أن المكان في الرواية ليس المكان الطبيعي أو الموضوعي، وإنما مكان يخلقه المؤلف في النص الروائي عن طريق الكلمات وتجعل منه شيئا خياليا".[2]

وبناء على ما سبق نستنتج أن المكان يشمل حيزا واسعا في مجال دراسة الخطاب الروائي، فهو من الحوافز التي تدفع بالروائيين إلى إظهار قدراتهم الإبداعية من أجل إظهار إمكانياتهم وإبداعاتهم.

2/مفهوم الفضاء:

تشير دلالة الفضاء إلى المكان الواسع من الأرض.

---

[1] –عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية، ص 121.

[2] – بدر عثمان، بناء الشخصية الرئيسية في الروايات لنجيب محفوظ، ص 28، 29.

أ. لغة:

عرفه "ابن منظور" في معجمه (لسان العرب) ب: فضا/فضي: المكان الواسع من الأرض. والفعل: فضَّ، يفصوا، فضوا، فهو: فاض وقد فضا المكان وأفضى، إذ اتسع، أفضى فلان إلى فلان أي وصل إليه، وأصله وفضائه وحيزه".[1]

ويشير "بلحسين بليشي" إلى نفس التعريف قائلا:" الفضاء هو ما اتسع من الأرض الخالي من الأرض جمع أفضية".[2] ومنه يتضح لنا أن جل هذه التعريفات تحمل في باطنها معنى واحد وهي أن الفضاء يعني المكان الواسع الذي تكمن بداخله الأشياء.

ب. اصطلاحا:

الفضاء هو" مجموع الأماكن الروائية التي تم بناؤها في النص الروائي "[3] ويطلق عليه أيضا فضاء الرواية "هو تخطي سلسلة من الأماكن أسندت إليها مجموعة من المواصفات كي تتحول إلى فضاء"،[4] أي أن الفضاء يحمل كل الأماكن التي رسمها الروائي داخل الرواية.

بالإضافة إلى ذلك نجد أن الفضاء "هو الحيز الزماني الذي تظهر فيه الشخصيات والأشياء ملتبسة بالأحداث تبعا لعوامل عدة، تتصل بالرؤيا الفلسفية وبنوعية الجنس الأدبي، وبحساسية الكاتب أو الروائي"[5] ، يعني أن الفضاء الروائي غير مرتبط بالزمان والمكان فحسب، على الرغم من تلازمهما الوثيق إذ لا يوجد زمان بلا مكان ولا مكان بلا زمان، بل يدخل في علاقات متباينة ومختلفة مع مكونات الخطاب الروائي. ونلفت النظر إلى أن جميع الأمكنة التي تتوافر عليها البنية الروائية تنتمي إلى ما يسمى بالفضاء الروائي.

---

[1]- ابن منظور، لسان العرب، مج 14. مادة (ف، ض، أ)، ص 14.

[2] – بلحسين بليشي، جيلالي بن الحاج يحي، القاموس المدرسي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر : 1981، دط. ص 321.

[3] – أحمد مرشد، البنية الدلالية في روايات إبراهيم نصر الله، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت: 2005، ط1. ص 130.

[4] – المرجع نفسه، ص 61.

[5] – منيب محمد البوريمي، الفضاء الروائي في الغربة (الإطار والدلالة)، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد: 1983 دط. ص 21.

ويذهب حسن نجمي إلى القول:" إن الفضاء الروائي ليس معادلا للمكان، إنما هو فضاء مطلق، لا يوجد في أي مكان، ذلك أنه يجمع كل الأمكنة، ولا يملك إلا وجودا رمزيا متخيلا، والفضاء لديه يبنى ويتشكل من خلال تجربة جمالية، بما يعنيه ذلك من بعد أو انزياح عن مجموع المعطيات الحسية المباشرة، أي أن مجاله هو حقل الذاكرة والمتخيل، وهو يتصل ببنية تاريخ التجربة الأدبية والذاتية للكاتب، بل وللقارئ أيضا".[1]

يظهر مما سبق أن كل من الفضاء والمكان حظيا في الرواية باهتمام كبير من الدارسين لأن المكان في النص الروائي يتجاوز كونه مجرد شيء صامت أو خلفية تقع عليها أحداث الرواية. ويمثل محورا أساسيا من المحاور التي تدور حولها عناصر الرواية.

أما الفرق بين المكان والفضاء، فيتمثل في كون المكان يدل على مجموع الأمكنة التي تظهر في الخطاب الروائي ويشكل قلعة تدور فيها الأحداث. ولقد ظهرت لفظة (الفضاء) بدلالات متعددة في الأدب، إذ تتمحور في الأنواع التالية:

1. **الفضاء الجغرافي:** ويشمل مجموعة الأمكنة التي تظهر في النص السردي.
2. **الفضاء النصي:** وهو ذو أبعاد مكانية، لكنه يتعلق بالمكان الذي تشغله الكتابة على الورق، وكيفية تنظيم الفصول والغلاف وتصميمها، وغير ذلك.
3. **الفضاء الدلالي:** ويرتبط بالدلالة التي تخلفها اللغة في النص.
4. **الفضاء كمنظور:** ويشير إلى وجهة النظر أو الطريقة التي ينظر من خلالها الكاتب إلى عالمه الحكائي".[2]

يتبين مما سبق أن كل فضاء يختلف عن فضاء آخر ولكل واحد مميزاته داخل الخطاب الروائي، ويتخذ البحث مفهوما إجرائيا يتبنى مصطلح الفضاء بازدواجية يشمل الزمان والمكان.

---

[1] – نجمي حسين، شعرية الفضاء السردي، المركز الثقافي العربي، بيروت: 2000، ط1. ص 51.

[2] – حميد لحميداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب: 2000، ط3. ص 53.

انطلاقا مما سبق يمكن القول أن مكونات الخطاب الروائي تتناسق فيما بينها وترتبط ارتباطا وثيقا، لتشكل لوحة فنية فسيفسائية لا يمكن الفصل بينهما، إذ هي عناصر تتداخل فيما بينها لتجسيد رؤية الراوي في الواقع وإبداعياته.

الفصل الأوّل:

المستويات اللغوية وقضايا المهمشين في عالم رواية أهل البياض.

- أولا :تمظهرات لغة المهمشين في عالم رواية أهل البياض.
- ثانيا :موضوعات المهمشين.

تعد اللغة من أهم عناصر الخطاب الروائي، فهو المميز الحقيقي للرواية عن باقي الأجناس الأدبية؛ إضافة إلى أنها المادة الحية والشكلية التعبيرية التي تبنى عليها شفرات التواصل التي يرسلها الكاتب إلى المتلقي عبر ألفاظ وأساليب متنوعة؛ ومن ثمة تكون الرواية تشخيص للغة وتصوير للذات والواقع. حيث "تشكل اللغة في الإبداع العربي بوجه عام وفي السرد الروائي على وجه التحديد مكانة هامة؛ بل إن الرواية لا تكتسب قيمتها وتميزها عن باقي الأجناس الأدبية الأخرى إلا في إطار التصور النظري العام للغتها من خلال التركيز والاهتمام بعملية التشخيص اللغوي؛ وبمختلف البناءات السردية وما تتوفر عليه من خصوصية "[1] بمعنى ذلك أن اللغة هي الأداة الأساسية في التشكيل الفني للرواية. وهي على المستوى الداخلي لنص الروائي" وسيط يقوم بتثبيت مفردات الدلالة؛ وبناء هيكل المعنى الكلي للنص. وتنظيم عمليات التصوير والرمز دون أن يصل من التبلور والكثافة والتّشيء إلى الدرجة التي يحل فيها محل عناصر السرد الأخرى...".[2]

وكل هذا يدل أن للغة أهمية بالغة في الرواية؛ فهي بمثابة مؤسسة اجتماعية تحمل مختلف أذواق الأفراد وأفكارهم وعواطفهم. كما أنها تصور مستوياتهم المعيشية بمختلف ما تحمله في طياتها من صراعات واتلافات ومفارقات؛ وكيف تتغير وتتحول أنماط حياتهم ." أنها الواسطة المادية التي يتفاعل بها الناس في المجتمع "[3] يعني ذلك أن اللغة تخلق نوعا من التمازج والتكامل بين الناس داخل المجتمع." واللغة كائن حي يخضع للتطور والتغيير من جيل إلى آخر؛ فاللغة دائمة التطور مهما أحيطت بسياج من الحرص عليها والمحافظة على خصائصها. لأن اللغة ليست في الحقيقة إلا عادات صوتية تؤديها عضلات خاصة؛ ويتوارثها الخلق عن السلف.

---

[1] – جوادي هينة، التعدد اللغوي في رواية فاجعة الليلة السابعة بعد الألف لواسيني الأعراج، مجلة أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، ع5. مارس 2009، ص 313.

[2] – المرجع نفسه، ص 313.

[3] – وائل بركات، نظرية النقد الروائي عند مخائيل باختين، مجلة جامعة دمشق للآداب والعلوم الإنسانية 1998، المجلد 14. ع3، 1998، ص 93.

غير أن تلك العضلات لا تؤدي تلك العادات الصوتية؛ بصورة واحدة في كل مرة، بل قد يلحظ عالم الفروق الدقيقة بين نطق أبناء اللغة الواحدة في البيئة الواحدة"[1] يتضح مما سبق أن اللغة تتغير عبر الزمن؛ فلا تبقى في حالة الركود والجمود؛ إنما هي دائمة التّجديد حتى وإن جعلناها في قوقعة للحفاظ على خصائصها؛ لأنها تدخلها تراكيب وتغييرات في كل مرة. بالإضافة إلى أن اللغة أساسها عادات صوتية تتوارثها الأجيال فيما بينها؛ كما أن اللغة التي ينطقا الأفراد في منطقة واحدة ليست نفسها؛ بل لكل واحد طريقته الخاصة في النطق. تشغل الرواية وضعا خاصا في حياة الإنسان؛ إذ تشكل طرائقا متفردة ومختلفة من حيث طبيعة بنائها واشتغالاتها الدلالية؛ إذ هي نمط تعبيري؛ تقدم تصورات عن ذاتها وعالمها؛ مما يجعلها بمثابة صياغة لتجربة الإنسانية؛ خاصة في الآونة الأخيرة الذّي يشهده الإبداع المعاصر؛ حيث تستند الرّواية إلى اللغة لتنسج واقعًا خاصًا وتشكل عالما بديلا عن العالم الواقعي؛ لأن استعمال الإنسان للغة يجعله يستبدل عالم الأشياء بالعلامات؛ فيسقط داخلها ويطأ عالما جديدا ويبني لبنة تصوراته. إن الرواية تملك الازدواجية مما يساعد ذلك على نقل المرئيات وتصويرها تبعا لطبيعة اللغة اللفظية وفاعلياتها في إثارة العواطف وتكثيفها في تصورات الذات الإنسانية ورؤيتها للعالم الخارجي لها. وإن مستويات أو الكلام تتعدد داخل الرواية بحسب المستويات الاجتماعية؛ فاللغة بمثابة جوهرة تبعث بإشعاعها أما على الإدهاش أو عدمه أو الغرابة أو الوضوح. فالمادة الأساسية التي تشكل الإغراء والإنجاب ليس الموضوع الذي تتحدث عنه لغة النص فقط؛ بل تتعدى ذلك لكي تكون اللغة بحد ذاتها تشكل جمالية.

أولا: تمظهرات لغة المهمشين في عالم رواية أهل البياض:

تعد اللغة الرافد الأساسي في بناء الرواية، وتشكيل عالمها الفني إلى جانب المعيار البنائي الذي يتكون منه العمل الأدبي، فاللغة هي التي تجعل من الرواية فنا متميزا كما أنها تمثل الوعاء الذي يصب فيه الروائي أفكاره ويجسد من خلالها الواقع المعيشي.

[1] – إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، دار نهضة، القاهرة، دت، دط، . ص 160، 161.

وما يلفت النظر في رواية (أهل البياض) عدد من المستويات اللغوية الجمالية التي تتبع من الشكل الجمالي للتجربة الروائية للروائي (مبارك ربيع).

1/ ثنائية الفصحى والعامية:

لقد تمكن الروائي (مبارك ربيع) من المزاوجة بين اللغة الفصحى والعامية داخل الرواية إذ هناك انسيابية وتقنية خاصة في تمرير التراكيب العامية بين طيات الفصحى المحكمة السبك، وكأنه يحاول تفصيح العامي من الكلام ليجعله مفهوما

بالإضافة إلى استخدامه اللهجة المحلية (المغاربية) مما أضفى على الرواية لمسة جمالية واقتراب من الواقع الحي. ومن خلال المعاينة الدقيقة لرواية (أهل البياض) ل(مبارك ربيع) نلمح مستويات متعددة للخطاب اللغوي في تماهيها وتماثلاتها مع الشخصيات ومع البيئة العامة ومع المستوى الفكري والثقافي، حيث يظهر المستوى اللغوي الفصيح في جل البناءات السّردية العامة، كما أنّه يستعمل في الحوارات إذا كانت الشّخصيات التي تؤدي الحوار ذات مستوى ثقافي عالي وحاملة للأفكار.

أ/ لغة السرد والوصف:

يعتبر السرد إحدى الأدوات التي يستخدمها الرّوائي وذلك من أجل تقديم رؤية عن الحياة التي يطمع في أن يراها ويرى الناس فيها. ويقصد بالسرد "الطريقة التي تحكى بها الرواية بداية من الراوي وصولا إلى المروي له مرورا بالقصة المحكية".[1]

وتتداخل لغة الوصف في علاقات متشابكة مع لغة السرد، فالوصف يمثل عنصر ضروري لتجسيد الواقع ورصده في صور متتابعة وله وظيفة دلالية لنقل الواقع المرير.

فمنذ الصفحة الأولى استطاع الروائي أن يقنعنا بصدق الوصف والتصوير "كانت جولة هذه الليلة، في البحث عن التائهين والمتشردين طوعا أو غصبا عنهم، تقود دورية الشرطة في جولتها ببعض أطراف المدينة إلى جمع خليط من المتسكعين والسكارى والمهمشين والمومسات واللصوص

[1] – لحميداني حميد، بينة النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1993، ط2، ص 45.

ومروجي المشتقات المخدرات الرخيصة، يدخل معظمهم في باب الوجوه المألوفة وبعضهم الآخر فيما هو من جنسها أو شبيه سحناتهم تقرر تضييقا قبل حركاتهم وألسنتهم [...]".[1]

ومنه يتضح أن الروائي (مبارك ربيع) يتخذ اللغة الفصحى وسيلة لسرد الأحداث لأنها تتلاءم مع الحكي والوصف، خاصة أن الروائي في صدد إخبارنا عن الأحداث التي تدور في تلك الليلة الحالكة، كما أننا إزاء افتتاحية الرّواية التي تصور كيفية قيام دورية الشرطة بالقبض على المهمشين والتائهين والمتسكعين والسكارى وجمعهم من الطرقات والشوارع، فاللغة هنا تجسد وتشخص تلك الأحداث المتمثلة في الهيمنة والقهر الذي تمارسها جماعة الفاركونيت التي يقودها الشاف (حموني) على المهمشين، تلك الفئة التي اتخذت من الشارع مأوى لها بعد أن همشوا بسبب الفقر المدقع أو الظلم ومختلف الآفات الاجتماعية التي تسببت في استبعاد بعض الأفراد من طرف السلطة الدولية.

حيث يتم القبض عليهم وزجهم في عربة الفاركونيت بقوة، وواحدا تلو الآخر. " يزداد اهتزاز عربة الفاركونيت بسبب حفريات الطريق فتهتز وتتداخل أجساد المحشورين فيها، وتختلط احتجاجاتهم وأصوات لفظهم. إنها هذه المرة على القرقاشة التي تحشرهم في جوفها، وعلى الظروف الملعونة للإمساك بهم متجاوزين تساقط بعضهم على بعض والتحام أعضائهم بعضا ببعض".[2]

في هذا المقطع أيضا تظهر اللغة الفصحى بأسلوب بسيط وسهل، أي أن الروائي مزال في صدد إبلاغنا عما يحدث في سيارة الفاركونيت ويصور ويصف ما يحدث داخلها من احتجاجات واندفاع لأصوات اللفظ التي يحدثها هؤلاء الحشد من المهمشين والسكارى والمتسكعين فيما بينهم، كما نلاحظ أن لفظة "القرقاشة" لفظة عامية وسوقية أحدث لها الروائي ثغرة بين طيات الفصحى لتعطي دلالة على المستوى الدنيء للشخصيات المحشورة في الفاركونيت.

من وراء هذه اللغة يظهر لنا السارد أن عربة الفاركونيت لا تتسع لهؤلاء المهمشين، كما أن حفريات الطريق تتسبب في التحام وتداخل أجساد المحشورين ببعضهم البعض من أجل تحقق

[1] – مبارك ربيع، أهل البياض، دار الساقي، لبنان. ط1، 2011، ص 07.

[2] – أهل البياض، ص 09.

البقاء. في هذا السياق الخطابي ينسج الروائي الأحداث بلغة فصحى وأنيقة ومفهومة وبسيطة أي أنها منسوجة بطريقة رفيعة محكمة الشبك، أي أن اللغة الفصحى هي لغة تصويرية بالدرجة الأولى.

من خلال معاينتنا للرواية يظهر لنا بشكل جلي أن اللغة الفصحى هي المهيمنة على السرد والوصف فهي تتمتع بالقوة والجزالة وتجعل ذات السارد تبدو في موقع استعلائي ويظهر ذلك في المقتطف :" يوم لا كالأيام، منذ صباحه غير الباكر، وبمجرد أمارة الصخب الأولى تجمهر الناس، كأنها كانوا متجمهرين أصلا أو على موعد ... موت بنشافة كان هو المدوي أولا. مدو فعل صوته، حتى يصعب معه تصديق أنه يمتلك هذا الصوت أو يختزنه في ضالته الكيان: هزال جسم وقصر قامة ... كان أول ما لمح وهو في طريقه إلى الورشة شبه شبح يتوارى في الركن ... لمحة اختفاء أو لمحة ظهور، صادفت شبحية ما، تتراءى من شيء أو شخص لحظة انحرافه عن الركن"[1]

يتبين مما سبق أن اللغة الفصحى هي التي تبرز فالسارد يخبرنا عن يوم جديد في هذا الحي الشعبي، إذ ينقل لنا التفاصيل الدقيقة لحشد هؤلاء الناس بعد سماعهم صوت (بنشافة) المدوي.

فدرجة انفعال ودهشة (بنشافة) لما رأى ذلك الشبح الذي يتوارى في الركن جعله يصرخ بأعلى صوته بالكاد هو بنفسه لا يصدق ذلك، بالإضافة إلى هذا يصف لنا الراوي الذي يختبئ وراء الروائي الحالة الجسدية لهذا الرجل (بنشافة) إذ أنه هزيل الجسم وهذا ربما يعود إلى الفقر والحالة المعيشية المزرية التي سيستنتجها المتلقي من خلال هذه الألفاظ والعبارات.

"يتطاول بنشافة باتجاه محجوب، يداه معا متطاولتان ... تكاد من مدهما رقبته تنفصل عن كيانه الهزيل . عيناه ولسانه ... باتجاه المرمى: على بعد دكان محجوب".[2] إن السارد يصف لنا الحالة الحميمية لبنشافة التي نلمسها من خلال اللغة الفصحى الخشنة والتي تعكس حالة الانفعال والغضب

[1] – أهل البياض، ص157.

[2] – المصدر نفسه، ص176.

" موت بنشافة كان هو المدوي أولا: جنب الصبي ...صفعه بضع صفعات وركله ركلات ثقيلة ليخرج وصوته الغاضب يسبقه باتجاه محجوب، بينما المفاجأة أثقلت معزوزة فلم تستوعب إلى حين، لتنتفض وتغادر بدورها هادرة متوعدة..."

نلاحظ من خلال الوصف والتفصيل الدقيق للحدث كأننا إزاء مقطع من مسرحية يغلب عليه عنصر المشاهدة بأم العين، ما يعني أن هناك مشاعر جياشة في نفوس الشخصيات تفور وتغلي وتتأهب، فاللغة الفصحى هنا تستهوي المتلقي لكي يتصور تلك الأحداث وكأنه يعيشها

إن لكل مفردة دورها في السياق الخطابي، فالمشهد المسرحي يسيطر على هذا المقطع متيحا الفرصة للمتلقي بأن يتخيله، وبذلك يصبح جزءا مشاركا لشخوص الرواية في تحفزهم وتوتر مشاعرهم.

هناك أيضا ألفاظ خشنة في المقطع مثل "جدب" ، "صفعة" ، "ركلات ثقيلة" ، " هادرة متوعدة"، والجمل قصيرة مكثفة تكثر بينها الفواصل والنقاط لتنم عن التوتر والغضب مما يسمح لنا أن نقول بأن اللغة فيها عناصر من المأساة والدراما.

إن السياق السردي الذي يتخذه الراوي (مبارك ربيع) في روايته (أهل البياض) هو شكل المقاطع المشهدية وتتبنى فيها بينها علاقة وثيقة مع الهوية الاجتماعية ، إذ هنا السياق السردي بمثابة حياة الشخصيات ، فالراوي يصور لنا الحياة اليومية لفئة المهمشين داخل حي شعبي ، إذ يرصد لنا مختلف الأحداث التي يعيشها المجتمع وفيها هو يروي عن هذه الحياة يلتفت إلى ما يلونها أو ما يخالطها من تفاصيل طارئة أو مفترضة تكسر الروتين اليومي أو تثري حياة من يعيشها.

ب/ لغة الحوار:

يشكل الحوار إحدى الأسس القوية في البناء الروائي في رواية (أهل البياض) فبموازاة السرد والوصف اتكأ الكاتب على الحوار في صياغة نصه الروائي. فعلى الرغم من أن السرد والوصف يشغلان الحيز الأكبر عادة في الرواية، فإن رواية (أهل البياض) اعتمدت على الحوار اعتمادا

رئيسيا، لأنه يمثل ركيزة مهمة في بنائها الفني، فاقتربت بذلك من مجال "الرواية الحوارية: وهي شكل من أشكال التجريب الذي يعمل على تحديث التقنية الروائية".[1]

ولقد أدى الحوار بنوعيه الخارجي والداخلي في رواية (أهل البياض) دورا مهما وعميقا في إضفاء الحيوية على السياق السردي والبناء الروائي عامة، إذ يكشف الحوار ما تتفوه به الشخصيات من أقوال تتضح بها مواقفها وآراؤها إزاء الأحداث التي تجري حولها وفي الوقت ذاته تتلفظ الشخصية بما يفعل في داخلها من مشاعر وأحوال نفسية مختلفة.

كما يوحي بما يكتنفها من تلاءم أو تناقض ما بين الداخل والخارج. أما فيما يخص لغة الحوار "وبما أن الرواية التي بين أيدينا هي رواية واقعية، فلقد تعمد كتاب الرواية الواقعية في العصر الحديث والمعاصر أن لا يتقيدوا باللغة الفصحى في الحوار إلا للضرورة وفي بعض الأحيان، وأجازوا لأنفسهم استخدام اللهجة العامية المحضة أحيانا والفصحى الممزوجة بالعامية".[2]

وهذا ما يقوم به الروائي (مبارك ربيع) إذ يكثر من اللغة العامية في الحوار، حيث أن هذه الأخيرة (اللغة العامية) من بين المستويات اللغوية التي تحضر عندما يبدأ الحوار ويتوقف السرد، حيث يحيل الراوي الكلمة للشخصيات لكي تتحاور فيما بينها لتبين عن وجهات رأيها وفي حديثها نلتمس الطبقة الاجتماعية التي تنحدر منها، لذا كل ملفوظاتها تنبعث من الواقع الاجتماعي بحدة وكثافة، ولذلك الشخصيات تنضح بتلك السياقات في تعبيراتها، إذ يبذل الروائي (مبارك ربيع) مجهودا كبيرا لتنطق كل شخصية بلغتها لا بلغة السارد/الروائي ، وهي حوارات تصورية تضفي روح الواقعية التي تتلاءم مع الجو العام للرواية فمن بين الأمثلة نجد ما ورد في افتتاحية الرواية:

" ما لله جامد هكذا؟

– رجعت له الحالة

– شفته في الصباح كان بخير، وما كان عنده باس...

– الصباح؟ ساعات هاذي وهو على هذا الحال ... من قبل؛ كان يتحرك

---

[1] – الماضي شكري: صورة الريف في الرواية العربية الشعرية، دار المعرفة، دمشق، 1986، دط، ص 84.

[2] – ينظر: رياض كامل: اللغة في الخطاب الروائي يحي يخلفأنموذجا، www.m.ahewar.org.sasp، بتاريخ 2018/05/04.

– كان يتحرك ويتكلم ... تقول ما عنده حتى حاجة، ما عليه ما به، ودباهانت تشوف – هذا ما عطى الله.

– قل الله يستر والسلام".[1]

إن هذا الحوار يدور بين شخصين باللغة العامية المفصحة، وهو يصور حالة من المأساة والمعاناة التي يصادفها في حياته هذا الشخص الذي يتمحور حوله الحديث، إذ نلمس في هذا السياق الخطابي مقام كل شخصية، فالجمود والصمت يدلان أن صاحبهما في حالة من الضعف ، الكآبة، المرض. ربما يعود هذا إلى الإقصاء والتهميش، أي من المعاناة التي يعيشها في الطرقات والشوارع، فهما يعيان تماما ما يجري حولهما على عكسه.

وفي يأتي أيضا الحوار الذي نشأ داخل سيارة الفاركونيت بسبب التأفف من الضيق الخانق ، وبعد غياب الضوء المزعج عن المهمشين واللصوص ومروجي مشتقات المخدرات الذين زجت بهم دورية الشرطة في عربة الفاركونيت حيث يعلو صوت امرأة باحتجاج

" إيوا ... العب قدام باب داركم.

– وعرفي بعد فين تضربي، واضربي حتى تشبعي ...

– ومالي أنامّك؟

– خلّي أمّي بعيد عليك

– خليني عليك حتى أنا بعيدة ... يقدمني واللي مسني نضربو.

– مالك مشفناكش ... الظلمة هذي ماشفنا مالقينا فين نشدو.

– شدي في راسك وبّعد مني أنا ...

– هاهو مبعّد يا الله ...

– إيواتاني ... بعّد رجلك منّي!.

– ..."[2]

[1] – أهل البياض، ص 05.

[2] – أهل البياض، ص 09.

يرد هذا الحوار باللهجة المغاربية، إنها اللغة التي تنطق بها الفئة المهمشة، فهي لغة عامية وسوقية وهي ألفاظ تبدو مجافية لواقعية الشخصيتين، إن العامية مسايرة لطبيعة الحياة أيضا.

فمثل هذا الحوار بما تضمنه من اضطراب وشجار ونقد لاذع موضع الذي تعيشانه هاتين الشخصيتين إلا أنه يتميز بالتركيز والإيجاز والتكثيف بعيدا عن الاستطراد والحشو، تؤازره في ذلك أساليب لغوية بنائية من مثل:" أمالي أنامّك؟، مالك؟، بعّد رجلك مني!"، وهي بناءات لغوية جسدت أحاسيس الشخصية، وأدى بذلك مهمته في تعميق الدلالة مع تحريك ذهن المتلقي.

ويرد حوار آخر بين، وأدى بذلك مهمته في تعميق الدلالة مع تحريك ذهن المتلقي، ويرد حوار بين شرطي المرور (ميمون) والطفلة (فايزة) التي تبيع علب السجائر والشوينقومفي الطرقات والشوارع. " يبدو الشرطي غير مصدق ولكنه يسلم ... تمد له مسكة، يعتذر لأن بوده أن يدخن، تسرح أمامه بأكثر من علبة والسجائر مفتوحة، ليختار. يجب أن لا- لا يستطيع- لا ...

- مالها حرام؟ مالك؟
- عندي باكيتي...
- الزيادة خير ... ذق من يدي
- لا ،لا
- لا قاطعة، يلفظها الشرطي.
- إيوا ... خصك وقيد
- في الخدمة ... ممنوع علينا التدخين.[1]

إنّه حوار بين المتجبر الذي يلقى الدعم من السلطة وتلك الطفلة البريئة (فايزة) التي تحاول أن تبيع كل مبيعاتها كي تحصل على المال وتكسب لقمة عيشها وعائلتها، فاللغة جاءت هنا مماثلة لدور كل منهما، حيث أن اللغة التي يتحدث بها الشرطي لغة خشنة وزجرة تدل على سيطرته وهيمنته، والقوة الفاعلة التي يمتلكها، في حين أن (فايزة) أسلوبها كان لينا وفيه نوع من الإصرار

[1] - أهل البياض، ص 91، 92.

ذلك من أجل الرأفة والاستعطاف من قبل الشرطي، إنها تحاول التأثير فيه إذن اللغة في هذا المقتطف مسايرة لكل منهما.

بالإضافة إلى ما قلناه سابقا نجد الحوار الذي جرى بين الشاف حموني والشرطي ميمون حول اختفاء زوجته السهلي راضية " محضر؟ ما محضر – خليني من كلام المحضر. هذا معروف مكتوب [...] هات. قل ماذا غير؟ قل ما عندك من الحي، العقل.

الملاحظة ...

لا شيء ... الرجل كان يمتطي موتوسيكل.

كان ... وأردف: وراءه امرأة ... راضية، زوجته؟ [...] شف هنا ... هي هذي؟ [...] نعم.وهي".[1]

إن هذا الحوار أعلاه جرى بين الشاف (حموني) صاحب الهيمنة والسلطة والشرطي (ميمون) الذي ينفذ أوامره دون أي جدل أو مناقشة حول اختفاء زوجته السهلي (راضية)، فلقد حاول الرّوائي (مبارك ربيع) في هذا المقطع أن يجعل الحوار بين الشخصين يجري بعضه فصيحا وبعضه عاميا وذلك بدرجات متفاوتة محاولة من الروائي أن يدخل ألفاظ العامية السوقية/ اللهجة المغاربية بين طيات الفصحى مثل ذلك:" خليني من كلام المحضر،"، "هات" ، "قل ماذا غير؟" ، "شف هنا" ، "هذي هي" ، "نعم هي" ، يعني هذا أن المزج بين الفصحى والعامية يعتبر في حد ذاته تحديثا للغة، حيث نلاحظ أن الروائي استعار من الحياة اليومية مفردات وعبارات ووظفها في نسجه الخطابي، هذا دليل على أن الكاتب قد غاص في أعماق المجتمع.

إذ اللغة الفصحى والعامية جناحان يساعدان النص الروائي على التحليق عندما يحس كاتب النص توظيفها في عمله الأدبي بشكل صحيح. هناك مزج آخر للفصحى والعامية في الحوار الذي جرى بين الشخصيتين (معزوزة) و(عيدة).

" تتابع معزوزة نحيب عيدة وتأنيبها ... ماذا تريد منها؟ أن تعلن للنساء وعلى رؤوس الملأ والأشهاد أن البنت ... خلاص صافي ... هكذا، فضيحة [...] ولا يمكن إرجاعه.

[1] – أهل البياض، ص 160، 161.

– فايزة خسرت ... صافي!؟ [...] البنت مازالت صغيرة، ويمكن تتصلح [...]".[1]

يتجلى في هذا الحوار الذي يتناول قضية الفتاة (فايزة) بنت (البصير) هذه الفتاة التي لطالما اعتبرت مهمشة بسبب السلوكات والتصرفات المتهورة، واعتبرها المجتمع أيضا بائعة هوى من جراء ذلك رغم صغرها، إنها فتاة تتجول طول النهار في الشوارع وتعانق الرجال لجذبهم إليها وبيع سلعها من أجل اقتناء لقمة عيشها وسدّ حاجات زوجة أبيها (عيدة).

نلاحظ في هذا المشهد الحواري تقابل بيت اللغة الفصحى والعامية، فلقد جعل الروائي من اللغة حقلا متسعا قابل لأن يضم كل شيء، فنجد إقحام لغة التخاطب اليومي "خلاص وصافي ... هكذا فضحتيه" ، "فايزة خسرت ... صافي!؟، " صغيرة [...] تتصلح، التي تدل على طبائع متكلميها على أشكالهم وهيئاتهم، يمكن القول أن لغة الحوار في هذه الرواية ورد بصياغة مبسطة قريب من المستوى الفكري والثقافي والاجتماعي للشخوص، حتى ولو ورد باللغة الفصحى فهذا (ليشير) الرجل الساكت ألقي عليه القبض من طرف الأمن وهو يمشي في الشارع وحيدا، كئيبا، تائها، هذا الرجل الذي همش لأنه مجنون، الذي ينتمي إلى طبقة المجتمع البسيطة إذ يرد الحوار فصيحا على لسانه (حوار داخلي): " هكذا عرفت نفسي. عرفت أنني هنا في هذه البقعة، مع هؤلاء الناس. يسألون وليس عندي الجواب، الجواب عندهم – منهم– مسكين أحمق– كان أحمق ورجع عقله إليه مرة ... مرة تلقاه بعقله مرة هو أحمق ...

تعلمت منهم الجواب، هم أعرف مني وأعلم. لا أذكر أين كنت ولا من أين جئت وكيف. لكني بلا شك لم أولد هكذا [...] صور معتمة".[2] إن الحوار أعلاه، كما نرى يدور بين الشخص وذاته باللغة الفصحى ، وهو يصور الحالة النفسية لليشير. فهذا الساكت المجنون (ليشير) يحاول أن يستوعب في ذهنه عدة مسائل تحيره وتشغل باله عن فكرة وجوده في هذا الحي الشعبي.

إذ يطرح أسئلة على نفسه، ولكن دون جدوى، لا يستطيع معرفة ذلك. فينتهي بنفسه إلى أقصى العوالم. اللغة الفصحى هنا تعطي لنا بعدا دلاليا آخر هو التخيل. فما يدور في بال هذا الشخص

[1] – المصدر نفسه، ص 340، 141.

[2] – أهل البياض، ص 71.

شخصته اللغة وبسطته لكي يفهمه المتلقي أكثر، حتى علامات الوقف التي جسدت في هذا المقطع لها دلالات على التنهدات والهواجس والضغوطات التي تجول في دماغه.

إنه مستوى معرفي يتمثل في حوارية لغوية خلقها الروائي مفترضا للدفاع عن الذات المهمشة، فمنحه حوارا يستدعي التفكير في الوجود، الوجود الذي هو وجود مع الآخرين، أي العالم بأكمله.

كما نجد أيضا شخصية "البصير" التي تؤدي أغلب حواراتها باللغة الفصحى ومثال ذلك من أحد الحوارات التي أداها (البصير) باللغة الفصحى الحوار الداخلي حينما كان يفتخر بزوجته ويمدحها: " من أدرى بحال المحب لوعة واشتياقا وافتراقا من سهاد شمعة؟

– من يشفي غليل السؤال الملهوف غير هذه الساهرة على لقاء الأحبة، تذرف دموع الفرح في اللقاء وعبرات الأسى الكميد حين تحل الفرقة والهجران؟ أتجيبين؟ أجيبي .. ردي السؤال على مثيله. ربيته للأنس، جليسه الهمس واللمس ... ومن غيرها الساهدة الساهرة تجيد البوح بالتفاني والفناء؟ من غيرها...".[1]

إن اللغة في هذا المقطع لغة راقية وسامية ف(البصير) رغم الحياة البائسة التي يعيشها والفقر المدقع الذي يعاني منه إلّا أنّه ذو ثقافة عالية، ومعظم حوارات هذه الشخصية في الرواية هي باللغة الفصحى وهي لغة تقترب إلى الشعر واللغة الرومانسية لأن شخصية (البصير) تعبر عن أحاسيسها وما يقبع بداخله من مشاعر نحو زوجته، ففي هذا المقطع تلتمس افتخاره ومديحه لزوجته، أما هم الكاتب فينصب على الملاءمة ما بين المستوى اللغوي ومستوى الشخصيات الفكري والاجتماعي، إذ أحسن الروائي (مبارك ربيع) في المزج بين اللغتين الفصحى والعامية بطريقة محكمة مما جعل السياق الروائي منسجما ومتسقا.

2. اللغة الدينية:

استثمرت رواية (أهل البياض) في مضامينها النص القرآني، الذي أسهم كعنصر رافد في تشكيل الفضاء اللغوي للرواية نظرا لما تتوفر عليه لغته من فصاحة وبلاغة وقدرة على الخلق والتصوير

[1] – أهل البياض، 237، 238.

ومن بين الصيغ التي اشتملت عليها الرواية " وعسى أن تكرهوا..."،[1]فلقد وردت هذه الصيغة في الخطاب الديني في قوله تعالى:﴿وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون﴾.[2]

يعني هذا أن هناك تقابل بين ما ورد في الرواية وما ورد في القرآن الكريم. حيث أن ما جاء في الرواية من حديث بين (الفقيه) و(غيّاتة) عن زواجهما، فلما كان جوابه بالرفض وعدم القبول جاء النص القرآني خادما لذلك أو للاستشهاد بهدف الإقناع، إذ ما تراه "غياتة" ليس خير لها ربما يكون في صالحها ومنفعتها.

كما أنّ السياق الروائي يزخر ببعض الألفاظ الدينية مثل:" سيري للنار خالدين فيها ... يا حطب جهنم ... وجوه النار، عظام النار، وجسده النار... الله لا يرحم فيك مثقال ذرة من عظم ولا لحم"[3]

يتجسد فيها سبق ألفاظ ومفردات من الخطاب الديني فمثلا:" خالدين فيها"، "جهنم"، " مثقال ذرة"، ولقد تم توظيفها لما لها من بلاغة، فالله سبحانه وتعالى يعاقبنا على الأعمال السيئة عقابا شديدا ومصير صاحبها هو "جهنم" والخلود فيها أبد الآبدين، فلا يرحم من الجسد ولو قطعة صغيرة من اللحم والعظام حتى وإن كانت بمقدار ذرة سوف يكون مصيرها النار.

وبما أنّ (غيّاتة) بائعة الهوى فاستحضر الرّوائي هذه المقتطفات ليبين مصير من يفعل ذلك ووظف هذه الألفاظ لعمق دلالتها.

يبدو أنّ استحضار النّص القرآني في طيات النسيج الروائي، قد حقق وظيفة بنائية تعبيرية وإنّ استلهام الروائي (مبارك ربيع) للنصوص القرآنية كان يتسم بأسلوب فني متقن، فهو يستدعي من النّصوص القرآنية ما يتوافق مع أسلوبه البسيط السهل في صياغة العبارات، والتراكيب والجمل.

وهو ينتقي من تلك النصوص أشيعها وأكثرها تداولا غلى ألسنة النص في مواقف معينة في حياتهم. من مثال ذلك: " إنما الأعمال بالنيات، إن الله شديد العقاب، إن بعض الظن إثم، إن

---

[1] – المصدر نفسه، ص 82.

[2] – سورة البقرة، الآية 216.

[3] – أهل البياض، ص 83.

كيدهن عظيم" وهي جميعها مستقاة من الخطاب الديني مكثفة الدلالة، تزخر بطاقات إيجابية ودلالات ثرية.

وقد اندمجت وتداخلت في نصوص الرواية وسياقاتها المختلفة ، كما أن تلك النصوص القرآنية جاءت منسجمة مع سياق المقطع الروائي ومندمجة فيه؛ على أن لبنة من لبنات النسيج الروائي. ومن بين نماذج الخطاب الديني استباط الروائي (مبارك ربيع) قصة السيدة مريم –رضي الله عنها– وهي قصة قرآنية ذات أبعاد متعددة ودلالات متنوعة وقد اختار الروائي ما ينسجم مع رؤيته الفكرية. فعندما كان يتحدث (البصير) و(محجوب) عن كيد الرجال وكيد النساء، قدم (سي عبد الله لبصير) نموذجا عن ذلك وهو ما وقع بمدينة "أصمدان" بين امرأة تدعى (الحرة) وهي امرأة أرملة، عفيفة ومتصوفة وبين كبار تجار المدينة وهذا ما ورد على لسان المرأة الحرة:

" أعوذ بالرّحمن منك إن كنت شقيا... قال إني من عبد ربك لست دنيئا دعيا ... قالت أنا يكون، وقد رأيت مني بذات غير حق ومن ذات بعل في غربته قضى نسيا منسيا، وإني لربي نذرت قلبي ولست زانيا، إنما أبغي بك ومنك الهدى، ونهتدي زوجا تقيا على حكم كتاب وطار سنة رضيا، فإن شئت في الإيمان عشنا، وإن شئت حطب نار جنيا... قالت فغض عني إن كنت تقيا واستخارت، فاستنارت... واستدارت روضا بهيا، فطاب مقال وطاب مقام، طاب الزمان وطاب شيئا هنيئا ...".[1]

إن قراءة هذا النص الروائي تذكر المتلقي بما ورد في القرآن الكريم عن السيدة مريم – رضي الله عنها– وملاحقة اليهود لها وكيف بعث الله سبحانه وتعالى جبريل إليها، فجاءت هذه الألفاظ من الآيات التالية: قال تعالى:" قالت إنّي أعوذ بالرحمان منك إن كنت تقيا(18) قال إنّما أنا رسول ربّكِ لأهب لك غلاما زكيا (19) قالت أنَّى يكون لي غلامٌ ولم يمسسني بشر ولم أكُ بغيّا (20) قال كذلك قال ربك هو علي هيّن ولنجعله آيةً للنّاس ورحمةً منّا وكان أمْرًا مقضيًّا (21) فحَمَلَتْه فانتبذت به مكاناً قصيًّا (22) فأجاءها المخاضُ إلى جِذْعِ النّخْلة قالت ياليتني مِتُّ قبل هذا وكنت نسيا منسيا (23) فناداها من تحتها ألاّ تحزني قد جعل ربُّكِ تحتك سَرِيًّا (24) وهُزِّي إليكِ بجذع

[1] – أهل البياض، ص 176.

النخلة تُسَاقِطْ عليك رُطبا جنيا (25) فكلي واشربي وقرِّي عينا فإما ترين من البشر أحدا فقولي إنِّي نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم إنسِيًّا (26)".[1]

لقد تمكن الروائي بما توافر له من إمكانيات فنية أن يوظف المواقف التي تعرضت لها السيدة (مريم) العذراء لما امتثل لها سيدنا (جبريل) عليه السلام بهيئة بشر توظيفا فنيا معاصرا وفق رؤيته الإبداعية، وهو بذلك يبني تفاعله النصي ما بين الخطاب الروائي والخطاب الديني على التماثل والتماهي بين المواقف، فالسيدة (مريم) – رضي الله عنها– لما رأت أمامها شخصا لا تعرفه خشية على نفسها وطلبت منه الابتعاد، ولكن في حقيقة الأمر لم يكن ذلك الشخص إنسانا بل كان ملكا كريما (جبريل عليه السلام)، فربط الروائي ذلك بقصة المرأة (الحرة) لما جاء لها كبير تجار مدينة (أصمدان) الذي كان يريدها في الحلال ولكن هي خشيت على كرامتها وعفتها. فأحدث الروائي تقابلا بين القصتين وأدمجها وامتص ألفاظ من القرآن منها "نسيا منسيا" ، "تقيا" ، " إنسيا"، " قالت أنى يكون"، فلقد جاءت صيغة النسج الروائي مماثلة للخطاب الديني.

بالإضافة إلى هذا وظف الروائي عبارات من الخطاب القرآني مثل:" يخرج النهار من الليل، ويخرج الحي من الميت"[2]، تبدو امرأة عطوفا حنونا إلا مع فايزة ... سبحان مالئ القلوب فالق الحب والنوى... لم أذن لا تصرف المرأة وجهتها محبتها، وعطفها باتجاه فايزة؟"[3]

نلاحظ أن المفردات والألفاظ التالية :" يخرج الحي من الميت، فالق الحب والنوى" هي عبارات من الخطاب الديني ولقد ورد ذلك في قوله تعالى :" إنَّ اللّه فالِقَ الحَبِّ والنَّوى ، يُخْرِج الحيَّ من الميت ومُخْرِجُ الميت من الحي ذَالِكُم اللّه فأنَّى تُوفكون".[4]

لا شك أن استحضار مثل هذه النصوص القرآنية، وما تحمله من دلالات ورموز غنية، وتفاعلها وتوغلها في النسيج اللغوي للرواية ، فقط انعكس في لغة الرواية وأسلوبها، فأضفى عليها لونا من

[1] – سورة مريم، الآية 18، 26.

[2] – أهل البياض، ص 177.

[3] – المصدر نفسه، ص 264.

[4] – سورة الأنعام، الآية 95.

الإيحاء الفني، فضل عن إكسابها طابع السمو والجلال والقداسة، ولعل ذلك لتبيان الوعي الثقافي لدى بعض الشخصيات مثل : (الفقيه) من طرف الروائي.

لقد اعتمد (مبارك ربيع) في روايته على لغة القرآن كمصدر مركزي لإثراء لغته فراح يستفيض منه بغية الاستفادة من آلياته المتنوعة وأساليبه المعجزة فوظف بعض الأقوال التي تناصت مع القرآن الكريم، إذ كانت الشواهد القرآنية كثيرة ومختلفة فتارة يأتي بألفاظ مفردة وفي أحيان أخرى يأتي بآيات قرآنية مع تغيير في بعض الألفاظ.

3/اللغة الإيحائية: إن اللغة لها علاقة وطيدة بالإدراك البصري، إن العالم المجرد تشخصه اللغة؛ فتجعل منه عالما حيا عن طريق التلفظ. والرواية التي بين أيدينا فيها مجموعة من الإجراءات والدلالات؛ إذ هناك مجموعة من الألوان التي توحي إلى الواقع الاجتماعي المغربي ما بين نظام السلطة وأفراد المجتمع. ولقد حمل الروائي (مبارك ربيع) العنوان دلالات وإيحاءات خاصة في الرواية من خلال التجارب التي يجعلها لأشخاصها فبذلك تصبح الألوان لغة خفية تتسرب في ثنايا الرواية؛ ومن ثم كانت الألوان أرضا خصبة للإيحاء أكثر شفافية فهي لا تعني شيئا وفي الوقت نفسه تعني كل شيء.....

أ/ لغة المجنون: بفضل الإبداع الأدبي لدى(مبارك ربيع) تمكن من رسم لوحة لونية داخل الرواية؛ تتجلى من خلفها أبعاد وأسرار الواقع المغربي؛إن بمجرد قراءتنا للعنوان(أهل البياض) يتدبر إلى الذهن مجموعة من الإيحاءات والدّلالات بسبب الغموض الذي يعتريه؛ وبما أن اللون الأبيض هو لون حيادي فإن الروائي يشير من خلاله إلى فئة معينة تجمعها روابط وثيقة داخل المجتمع؛ فئة حيادية؛بعيدة عن الواقع؛ مهمشة؛ تقف على الهامش؛ فئة لها هدف واحد؛ مصير واحد؛ يعني ذلك أن هناك عالما خفيا يريد الروائي(مبارك ربيع) أن يثبت وجوده وذاتيته. إن تفتح الرواية على أجواء ليلية صاحية لدور لدورية الشرطة التي تعمل على جمع المهمشين من الشوارع والأزقة على اختلاف أصنافهم؛ فتحضر دائرة لونية داخل مسار الخطاب الروائي بمختلف الدلالات؛ لكنها تتمحور حول لون واحد يطغى عل كل شيء.

لون(البياض) الذي يحجب كل شيء؛ فبالكاد تقول إن الشخصيات تعيش في العدمية وبداية من الثنائية اللونية التي تتخلل داخل الرواية الضوء الأبيض/ الظلمة السوداء: ويتبين ذلك من خلال هذا المقتطف الذي يتحدث عن المجنون (ليشير) " غير عادي يمضي وحده؛ وقد تجاوز حد الفنادق والملاهي ومنطقة الأنوار والميناء؛ إلى منطقة الفراغ وباهت النور؛ في اتجاه المنطقة المشرعة على الظلام وعلى طريق سفري مفتوح (....) يمضي الرجل؛ لا يقصد مكانا ليتعجل على شيء؛ وبالضبط كأنه المتوحد في نزهة ملكوتية؛ يتحرك موليا ظهره لعالم الضجة والأضواء.[1] وهنا يتبين أن التوحد بالظلمة الداكنة بقوة بالنسبة لرجل(ليشير) لدرجة أنه لا يتحمل الضوء وبالنسبة آله الضوء مصدر لخلخلة اتزانه؛ فهو إذن مولع بالظلمة والسوداء اللذان يرافقانه فهناك إيحاء نحو عالمه الخاص المنسي الذي لا يرغب أن يشاركه أحد فيه؛ ففي نظرة الضوء خاص بأصحاب الترف والرفاهية فهناك؛الروائي يشير إلى التوازن داخل المجتمع والطبقية.

ويمتزج اللون الأبيض باللون الأخضر إلى حد التداخل والتفاعل فشخصيته(ليشير) نعيش في عالمين؛ عالم خفي ومضمر وهمي وعالم أخر واقعي وعلني" قال إني وحدي من يرى الأخضر؛ لأنه يسمح لي بذلك ؛ لأنك محب محبوب....قال لي الحارس إذ ذاك وكرر ما قاله؛ انه سعيد باستقبالي متى رغبت في ذلك؛ لكنه طلب مني ألا أدل أحدا على ما أراه من خضرة هنا ؛ وان أضل مع الناس في البياض"[2] بمعنى أن ذا(ليشير) تنغمس في الأخضر الذي يدل على السلام ويحب الخلوة والانفراد بنفسه؛ ويتخذ بديل عن العالم الحقيقي والواقعي العلني بألوان البياض لكنه مجبر على التورط في عالمه الواقعي لتواصل مع الآخرين ويفرض عليه الخوض في ألوان متعددة البياض؛ حيث السلطة تفرض سيطرتها على المجتمع فتحصره في قوقعتها وتجعله تابعا لها وبالتالي يكون مصير الأفراد(التهميش والاستبعاد والمحو حتى أصبحوا يروا حياتهم كلها بياض. يتخذ البياض مسحة شاملة في مسار الخطاب الروائي، فهو بمثابة حاجز أو غلاف يغلف الناس

[1] – أهل البياض، ص 10.

[2] – أهل البياض، ص 207.

وجناياتهم من كل النواحي، فالبياض شديد التنوع وليس على هيئة واحدة؛ إنما هو ثبوت تلبسه الشخصيات.

تنغمس في الأخضر الذي يدل على السلام ويحب الخلوة والانفراد بنفسه؛ ويتخذ بديل عن العالم الحقيقي والواقعي العلني بألوان البياض لكنه مجبر على التورط في عالمه الواقعي لتواصل مع الآخرين ويفرض عليه الخوض في ألوان متعددة البياض؛ حيث السلطة تفرض سيطرتها على المجتمع فتحصره في قوقعتها وتجعله تابعا لها وبالتالي يكون مصير الأفراد(التهميش والاستبعاد والمحو حتى أصبحوا يروا حياتهم كلها بياض. يتخذ البياض مسحة شاملة في مسار الخطاب الروائي، فهو بمثابة حاجز أو غلاف يغلف الناس وجناياتهم من كل النواحي، فالبياض شديد التنوع وليس على هيئة واحدة؛ إنما هو ثوت تلبسه الشخصيات.

ب – لغة المتسولين:

رغم عالم البياض الذي تعيش فيه شخصيات (مبارك ربيع) إلى أن هناك بعض الألوان التي تعيد الأمل لهذه الشخصيات إذ هناك حضور للونين الأحمر والأخضر بحيث أن هناك الثنائية اللونية تصبغ حياة الفتاة(فايزة) التي تتسول مع أبيها (لبصير) في بعض الأحيان وأحيانا تعمل بتجارة في الشوارع؛ كما أنها تثير عواطفها" تتاوه الفتاة أسفا وحسرة" تنتفض في غضب وغيظ؛ في تبرم مكتوب ما يلبث أن يصدر بين فترة وأخرى شتما منصبا على إشارة المرور؛ في تحولها السريع من منع إلى إباحة. أخضر أخضر يخضر عين أمك. خذيه عندك خضري به عينيك (....) أو أحسن (....) خضري به الطاجين لغداك أو عشاك؛ أحسن لك وأعطني الأحمر ، احمر وطولي وطولي وزيدي فيه (....)[1] ومن هذا المقتطف يتبين أن الفتاة منفعلة بين الأسف والحزن والغضب والشحط؛ ولقد ربطهما الروائي بإشارة المرور فهذه الخيرة تحمل اللون الأحمر الذي يدل على الوقوف والأخضر يدل على إفصاح الطريق للمرور؛ وهي إيحاءات للملفوظات التي تعني منها الفتاة فيما يقابلها التوترات العاطفية؛ فهاذين اللونين يشتتان عقل (فايزة) حيث أن كسبها المعيشي محصورين بين اللونين الأحمر؛ الأخضر؛ فلما يطيل اللون الأحمر يكون فعلا مساعدا

[1] – أهل البياض، ص 88.

لها، فبزيادة نسبة المبيعات يزداد الربح في حين اللون الأخضر يعمل عكس ذلك، إذ نجد الروائي ربط اللونين الأحمر والأخضر تارة بالأعين وتارة بالأكل، إذن، إشارات المرور لا تؤدي النظام الدلالي لقانون المرور، إنما هي إيحاءات لفهم الواقع الاجتماعي الذي تعيشه "فايزة":" تنتظر فرصة توقف السيارات مع الإشارة الحمراء، لتختار زبونها الجديد.

نستشعر دائما إطالة مدة الأخضر على حساب الأحمر تستشير باستمرار، نستثقله"[1] بمعنى ذلك أن فعالية عمل (فايزة) في بيع ما تملك في الطريق مرهون باللون الأحمر واستمراريته، أي توقف السيارات يقربها من اختيار الزبائن ويعطي لها الفرصة للربح، أما اللون الأخضر فهو معيق لعملها، بل إنها تحتاجه فقط لفترة صغيرة من أجل ترتيب سلعها، بمعنى أن الأخضر يهدد مخططاتها.

إن البياض الذي أشار إليه الروائي (مبارك ربيع) لم يستخدمه للتغطية على معاناة المجتمع المغربي ومحوها، إنما قصد من ذلك الإفصاح عما هو مضمر، حيث نجده يسلط الإشعاع على شريحة المجتمع التي لا تظهر في النور بقدر ما تتوقد في الظلمة، فالبياض له أبعاد اجتماعية عديدة، فنقل لنا الواقع المر الذي يغزو الإنسان المغربي، ومنه تمكن الروائي من إيصال رسالة رفض الإنسان المهمش الشقاء والفقر داخل المجتمع المغربي، كما أشار إلى أزمات عديدة لهذا المجتمع من خلال السلطة في الشارع وبينا التعامل الأمني مع هذه الشريحة الإنسانية، تعامل الرجل مع المرأة، إضافة إلى سقوط الأفراد في متاهات الظلمة حد الجنون، ولكن على الرغم من كل هذا حاول الروائي إثبات وجودها من خلال هذا السياق الروائي

4. اللغة البذيئة:

إن رواية أهل البياض (مبارك ربيع) تصور معاناة الفقراء والمهمشين الذين غيبهم المجتمع واستولى على حقوقهم أصحاب السلطة والنفوذ كما أن الرواية تصور حياة أشخاص لجؤوا إلى مهن تمس بكرامتهم وشرفهن للحصول على المال من أجل العيش، فالروائي بذل مجهودا كبيرا لتنطق كل شخصية بلغتها، إذ نلاحظ كثرة الحوار في الرواية بكل الأساليب، ويكثر استخدام اللغة البذيئة

[1] – المصدر نفسه، ص 88.

ولغة الشارع. فالحوار قريب من المستوى الفكري والثقافي والاجتماعي للشخصيات وهذا ما يساعد على إضفاء روح الواقعية التي تتلاءم مع الجو العام للرواية.

أ/ لغة السب والشتم:

إن شخصيات رواية (أهل البياض) تنطق بألفاظ بذيئة ولغة سوقية مستوحاة من الشارع ولنا أمثلة على ذلك إذ نجد شخصية (غياتة) هذه الشخصية التي لجأت إلى بيع كرامتها من أجل المال، فنجدها تلفظ بألفاظ بذيئة وهي تلعن أحد الرجال حيث تقول "ولد الكلب، الدّيوثي، والله ما يطلع فوقي ولد امرأة ، ولد الكلبة".[1]

فهذه الألفاظ تصدر من امرأة باعت كرامتها وجسدها من أجل المال فجاء كلامها مماثلا لدورها في البذاءة، ولكن الظروف الاجتماعية هي التي دفعتها إلى بيع كرامتها من أجل الحصول على لقمة العيش وبالتالي الظروف القاسية هي التي أرغمتها للتلفظ بمثل هذه الألفاظ البذيئة.

كما نجد أيضا في مقطع آخر من الرواية الشاف (حموني) وهو يخاطب (غياتة) و(موزاوي) عندما ذهبا إلى المخفر للبحث على المجنون (ليشير) وهو يقول:" خذوا علينا زمركم واخرجوا من هنا".[2]

فهذه الألفاظ البذيئة والسوقية صادرة من شخص متجبر يمارس الهيمنة والسلطة على فئة المهمشين والمغلوب عليهم والضعفاء الذين لا حول ولا قوة لهم، فهم ينفذون فقط الأوامر من أجل الحفاظ على لقمة العيش فنجدهم يقومون بأعمال قد تشكل خطرا على حياتهم وقد تمس بكرامتهم ويبقى الهدف واحد وهو ضمان قوتهم اليومي.

كما نلاحظ في مقطع آخر من الرواية شخصية (البصير) وهو يخاطب صديقه (محجوب) الذي قام باغتصاب ابنته (فايزة) فرغم ثقافة لبصير العالية إلاّ أنّه يتلفظ بألفاظ بذيئة ويتجلى ذلك في قوله:" يلعب على أولاد الناس ... الكلب...".[3] فألفاظ هذه الشخصية جاءت غير ملائمة مع دوره في الرواية دور المثقف (الفقيه) ولكن ما دفع هذه الشخصية المثقفة للتلفظ بمثل هذه الألفاظ

---

[1] – أهل البياض، ص 17.

[2] – المصدر نفسه، ص 69.

[3] – نفسه، ص 156.

السوقية المستمدة من الشارع هي الظروف الاجتماعية القاسية وتعرض ابنته الوحيدة للاغتصاب من طرف صديقه (محجوب) هذا الصديق الذي وضع فيه كل ثقته وفي النهاية يقوم باغتصاب ابنته الوحيدة (فايزة) التي كانت سند (لبصير) ويده اليمنى فهي التي كانت تعمل وتتجول طول النهار في الشوارع من أجل مساعدة والدها ومن أجل الحصول على المال من أجل تلبية حاجاتهم اليومية، فالظروف المزرية التي يعيشها (لبصير) هي التي جعلته يتلفظ بألفاظ بذيئة وألفاظ سوقية مستمدة من الشارع.

كما يظهر لنا في مقطع آخر من الرواية شخصية محجوب التي تدل على دناءته وذلك من خلال اللغة" قبلة محجوب كانت عادية وأقل من عادية، وهو لم يمد لتلقيها عنفا ولا مط شفة. كأن شيئا لم يكن، وكأنه يطلب ولا تلقى ... عادي... كل شيء عادي، والأهم أنه يملأني ثقة وأمنا وشعورا بالأهمية وقوة الذات [...] شعور لذيذ خفيف بالمغامرة البريئة يدغدغني...".[1]

يحاول الروائي (مبارك ربيع) أن يصور لنا كيف تمت مكيدة محجوب، حيث حاول هذا الأخير أن يشعر (فايزة) بثقة أكثر في نفسها وبالأهمية أنها أفضل من النساء الأخريات رغم صغرها، وهذا كله من أجل ممارسة المحضور معها واضعا قوته الجنسية، وتنفيذ فخه الذكوري اللعين ألا وهو الاغتصاب الذي سبب ل(فايزة) المعاناة والتّبرء والتهميش.

كما يتبين لنا في مقطع آخر من روايته (أهل البياض) شخصية (معزوزة) زوجة (بنشافة) وهي تشتم (محجوب) ذلك الرجل المعروف بممارسة الهيمنة والقوة على الأطفال الضعفاء (فمحجوب) حاول إيذاء ابن معزوزة إذ نجدها تلعنه وتشتمه بكل الوسائل وبشتى الألفاظ والأقوال البذيئة والغير اللائقة ويتجلى ذلك في قولها:" رجل عند راسك، ما قادر على نسا... ما قدرت على العيالات درت للدراري الصغار ... حرفة الوالدين ... عنده والدين هذا عنك أولاد أنت... عنده أماه وباباه؟ منين خرجت؟ منين خرج هذا؟ ولد بوه...[...] الكلب القران".[2]

[1] – أهل البياض، ص 156، ص 157.

[2] – المصدر نفسه، ص 300.

فهذه الألفاظ تصدر من شخصية مورس على ابنها القهر والظلم من طرف صاحب السلطة والهيمنة (محجوب) هذا الرجل الذي يستغل كل الفرص للإخلاء بالأطفال واغتصابهم، فاللغة البذيئة التي صدرت من شخصية (معزوزة) هي سبب الشعور بالظلم ومحاولة الانتقام من (محجوب) بسبب تصرفاته القذرة. فهذه الألفاظ كلها ألفاظ ومفردات سوقية مستمدة من الشارع ومم الأحياء الشعبية التي يكثر فيها الفساد، الظلم والاغتصاب بشتى أنواعه حيث نجد القوي دائما هو الأفضل رغم تصرفاته البذيئة والقبيحة الغير اللائقة.

ب/ لغة التحرش الجنسي والانحلال الخلقي:

لقد تعددت مستويات اللغة في الرواية باعتبار أن رواية (أهل البياض) مستمدة من الواقع المغربي ، فكل شخصية من شخصيات الرواية لها لغتها الخاصة الملائمة بها، وبعودتنا إلى ألفاظ معجم الشخصيات نجد أنها تتلفظ بلغة مستمدة من الواقعية القذرة وهي لغتة الانحلال الأخلاقي.

حيث نجد في مقطع من الرّواية شخصية (محجوب) وهو يخاطب الفتاة (فايزة) عندما كان يحاول اغتصابها فنجده يتلفظ بألفاظ بذيئة غير لائقة، إذ يقول :" بوسة واحدة وصافي"[1]، فنلاحظ أن هذه الألفاظ تصدر من شخصية تمارس الظلم والقهر والقوة على الفتاة الضعيفة التي لا حول ولا قوة لها فقد استغل براءتها من أجل أخذ ما يريد ، فلقد كانت ألفاظه متلائمة مع تصرفاته الدنيئة مع الفتاة (فايزة)المسكينة ابنة صديقه (لبصير) الذي كان ينصحه ويحكي له قصصا يأخذ منها العبرة، صديقه الذي وثق فيه ثقة عمياء لكن (محجوب) خان ثقة صديقة (لبصير) وقام بإيذاء أعز الأشخاص إليه وهي ابنته الغالية (فايزة) فلقد كانت لغة (محجوب) بذيئة متساوية مع سلوكه، كما نجد في مقطع آخر من الرواية الفتاة (فايزة) وهي تسرد حادثة اغتصابها حيث تقول:" أحس أني أرتغي، بفعل مقاومتي ومقاومته، ربما أكاد أتهاوى [...] يهم وأنحرف ليقع فمه على خدي، يده على يدي".[2]

[1] – أهل البياض، ص 307.

[2] – المصدر نفسه، ص 307.

إن اللغة في هذا المقطع هي لغة بذيئة وهي لغة التحرش الجنسي، ويمكن اعتبار هذه اللغة لغة الانحلال الأخلاقي فهذه الألفاظ هي ألفاظ بذيئة، فالصدمة والتعرض للاغتصاب والظلم والقهر هي أسباب جعلت فايزة تتلفظ بهذه اللغة المستمدة من الواقعية القذرة.

إنّ لغة الانحلال الخلقي هي لغة يتلفظ بها الشخص المهيمن صاحب السلطة والنفوذ والشخص الضعيف الذي يتعرض للظلم والقهر. إذ أنّ الألفاظ البذيئة التي ذكرناها سابقا نجد أنها قد تصدر من شخصية مظلومة دفعتها ظروف الحياة إلى ممارسة أعمال تمس بكرامتها وشرفها، كما أنها قد تصدر من شخصية متجبرة تمارس الهيمنة والسلطة على من هم أدنى وأضعف منها، وبتعبير آخر على من همشهم المجتمع.

ونلخص ما قلناه في المخطط التالي:

مخطط مستويات اللغة في الرواية:

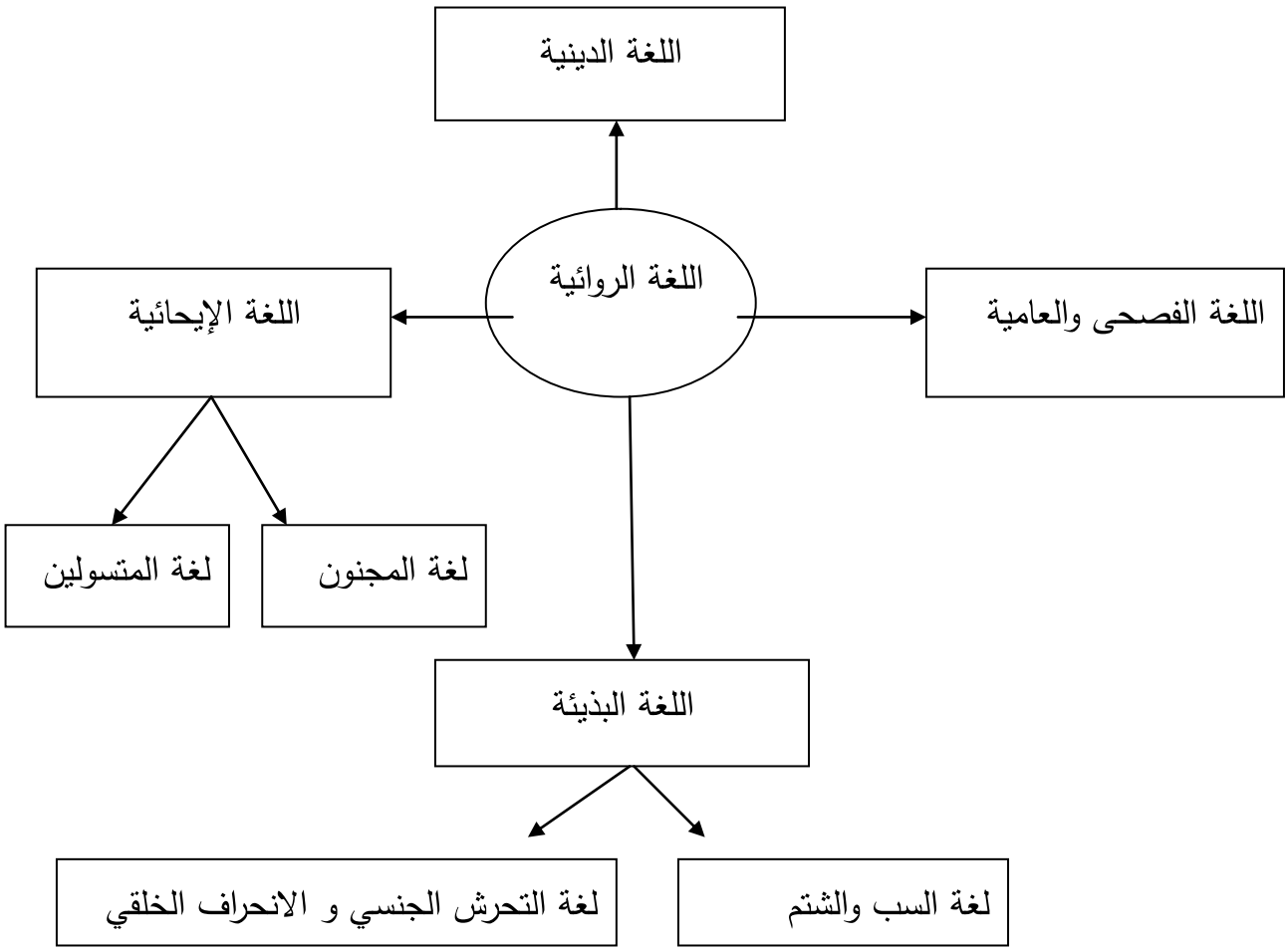

لقد عبرت اللغة الروائية بمختلف مستوياتها عن الطبقات المستضعفة في المجتمع تحت وطأة الجهل والفقر، فأفراد المجتمع المغربي يعانون من القمع السياسي تحت وطأة سندان السلطة الغاشمة الحريصة على استحواذ مصادر النفوذ، فالمهمش يشبه الروح العدمية.

ثانيا: موضوعات المهمشين:

تتعدد قضايا المهمشين والإقصاء الاجتماعي بين غياب القانون والتمييز الطبقي والوضع الاجتماعي الهش للنساء، وهذه الشريحة الاجتماعية تعيش على هامش المجتمع في مواجهة الرأي العام بفعل الاختيار أم الإجبار، ذلك لرفضهم الامتثال لأخلاقيات وقوانين الحياة المشتركة، فالأفراد يشعرون بعدم الفهم والقبول من طرف المجتمع بطرق تتراوح ما بين الشفقة واللامبالاة، وينجر عن ذلك كله شكل من العزلة النفسية، وممارسة مهن غير شريفة. مثل: مهنة البغاء (الدعارة) والتسول إضافة إلى ذلك هناك الإقصاء والاستبعاد بسبب الفقر والأوضاع الاجتماعية المأساوية، فالمهمشون فئة غيبت عنها حقوق الحياة والعيش الكريم ولعل حضور المهمشين في رواية (أهل البياض) مكنها من الوصول إلى القراء بشكل كبير، فلقد أبدع الروائي (مبارك ربيع) في تصوير العالم السفلي للمهمشين وفضح المسكوت عنه. كما رصد أيضا أهم الموضوعات التي تتعلق بهذه الفئة المهمشة ويمكن تصنيف هذه الموضوعات التي تتمحور تحت سقف واحد هو التهميش الاجتماعي إلى ثلاثة قضايا وتتمثل في: قضية المرأة، قضية الفقر وأخيرا قضية الجنون.

1. قضية المرأة:

إن رواية (أهل البياض) تقرأ المجتمع المغربي وتفاصيله وهمومه، حيث تصور حياة الناس اليومية وأحلامهم، وتحاول أن تشير إلى مواضع الألم والخلل، ولا تخاف من القضايا الساخنة أو الحرجة، إنها تلج في أعماقها وتطرحها بطريقة مضمرة.

وبما أن الرواية انعكاس لثقافة المجتمع وأوضاعه الاجتماعية، فمن الطبيعي أن تضمر المرأة كجزء من الواقع المرير للمهمشين، فالمرأة كهامش اجتماعي تحتاج إلى كشف وتظهر التهميش الذي يقع عليها، إذ نجد أن التهميش ضد المرأة في الرواية يأخذ منحى: المرأة في مواجهة السلطة الذكورية:" يقوم حجر الأساس في النظام الأبوي على هيمنة الذكر على الأنثى، واستبعاد المرأة

واضطهادها ونفي وجودها الاجتماعي، وذلك لأنه مجتمع أبوي يسيطر فيه الرجل على المرأة لأنها أقل درجة منه، ويكون ذهنية ذكورية ذات نزعة تسلطية".[1] بمعنى ذلك أن السلطة في المجتمع تكون في قبضة الرجل وله قوة الهيمنة وعلى إثر ذلك فإن أكبر معاناة تعيشها المرأة هي شعورها أنها أقل درجة من الرجل خاصة وأنها من الفئات المهمشة، أي الشعور بالاحتقار والدونية.

إن رواية (أهل البياض) تصور امتهان الجسد والاضطهاد والأذى الذي تتعرض له المرأة في المجتمع الذكوري المغربي، وذلك من خلال قصة حياة امرأتين هما: بائعة الهوى (غياتة) والفتاة (فايزة). وتتعدد الأصوات في هذه الرواية لترسم عدة جوانب من قضية المرأة وتمنح لها أبعادا مختلفة.

أ. التجارة بالجسد (الدعارة):

في بعض الأحيان قد تؤدي الظروف الاجتماعية ببعض النساء إلى ممارسة البغاء (الدعارة) وهي" الرذيلة أو الفسق الأخلاقي ، وهي مفهوم للدلالة على لذة أو غريزة جنسية غير مشروعة مقابل أجر مادي ويشارك في هذه العلاقة طرفان، الأول هو من يعطي هذه المتعة الجنسية غير المشروعة مقابل أجر مادي أو غير مادي، أما الطرف الآخر فهو من يشتريها مقابل إعطاء هذا الأجر".[2]

يعني أنها بيع الخدمات الجنسية مقابل أجر زهيد مادي. وهي آفة اجتماعية خطيرة على المجتمعات الإنسانية، حيث أن هذه الرواية التي بين يدينا (رواية أهل البياض) ترصد لنا هذه الظاهرة في المجتمع المغربي، فبائعة الهوى (غياتة) التي تمنح جسدها للرجال مقابل ثمن على ذلك بسبب الظروف الاجتماعية التي تعيشها، وعلى إثر ذلك همشها المجتمع واعتبرها آثمة، لكن رغم ذلك تحاول أن يعلو صوتها أثناء معاملاتها مع الرجال، فهي ترفض أن يتطاول عليها بالظلم والتعدي

[1] – إبراهيم الحيدري، الهيمنة الأبوية الذكورية في المجتمع والسلطة، شبكة الاقتصاديين العراقيين عن موقع، http://iraqiercomomists.net/ar/، بتاريخ 21/ 05/ 2018.

[2] – عادل عامر، الفقر والانحراف، عن الموقع: https://m.facebook.cbohoutte، بتاريخ: 2018/05/21.

" إنما عن حق، لا عن تعد أو ظلم، كيف تتعدى أو تظلم امرأة تسترزق بجسدها، تعطي أغلى ما عندها، جسدها وروحها مقابل فلوس مهما بلغ مقدارها فلن تعوض عن قليل أو كثير، مما تدفع المرأة من كرامتها، مما هو عندهم غير مستحق ولا مقدر على الدوام [...] وإنما يجعل سفلة الرجال وأشباه بني آدم يتطاولون عليك [...] صرخة استغاثة تخترق الحي من أقصاه إلى أقصاه [...] لم يفلح في إخراسها، وسلاحها أسنانها غرستها في قبضة يديه الملمومة على فمها قصد إسكاتها وحبس أنفاسها، لكن دون جدوى، ليسرع صاحبها في طريقه للإفلات من فضيحة محققة[...] إنه لم يدفع ما يفيد، كأنما يعتبر خشية الفضيحة لديه وحدها كافية لتكملة ما ينقص من حق المرأة ومعلوم المتعة"[1]

إن الروائي (مبارك ربيع) لا يغفل عن حالات انتهاك جسد الأنثى والمتاجرة به من أجل سد الجوع، ف(غياتة) تحترف الدعارة، ففي منظورها هذه الأخيرة (الدعارة) سوف تحقق لها أمانا ماديا أكثر ولكنها ترفض المعاملة السيئة والجشع الذي يمارسه الرجل في حقها، فهي تريد أن يدفع لها أغلى ثمن وأن لا يتهرب من ذلك، فإن استدعى الأمر تستعمل قواها الجسدية فتصرخ لتفضحه أمام الكل، لكن لا أحد يصدقها لكون المجتمع يعطي الأحقية للرجل لا للمرأة.

في حين أن ذلك الرجل يرى أن التستر عن الفضيحة هو حقها وكافي ويرى أيضا أن المرأة مجرد متعة جسدية، فهي تسلي الرجل وتمتعه من اللذة بجسمها بما شاء. حيث يمارس حيوانيته"هؤلاء الذين يحلو لهم أن يأكلوا عرق تعب النساء، يأكلون عرق النساء في الفراش [...] بإعطائهم أقل من الواجب، أو عدم إعطائهم شيئا على الإطلاق، مما هو مستحق لهم. ومع النساء يحلو للبعض تماما أن يمارس بكل حيوانية، فقدان الموانع، مستمتعا بكل انحرافاته[...] كلها تتحملها غياتة وشبيهات غياتة".[2]

هؤلاء الرجال الذين يستغلون النساء استغلالا جنسيا، ويمارسون ذلك بطرق بهيمية، حيوانية غير آدمية فتحلو لهم المتعة وسد رغباتهم وشهواتهم الجنسية، إذ يستغلون أوضاعها المادية لكي

[1] – أهل البياض، ص 18.

[2] – المصدر نفسه، ص 20.

تصمت وتتحمل ذلك العنف الجسدي الذي يمارس عليها، وفي الأخير لا يمنح لها ثمن فعله الدنيء معها، أو يمنح لها أقل ما تساوي كرامتها. فالمرأة (غياتة) واحدة من اللواتي تسترزق بجسدها للحصول على مستحقها مقابل ما صرفت له من متعة، وما يروي غابر وحشيته الآدمية الحيوانية ممزوجا ذلك باحترافية دعارة وفجور.

هذا الرجل الذي عرفته (غياتة) بعد أن قضى رغبته ووطره لم يقدم لها ثمن ما تستحق، وإن قدم لها مبلغا فهو يعتبر ذلك مجرد صدقة، كأنما لم تلب له شيئا، وما عليها إلا أن تعود أدراجها وتسرع في الاختفاء لكي لا تمس كرامة الرجل وفحولته، أي أنها شاركته فقط المتعة والحيوانية، لكن المرأة (غياتة) لن تسمح بأن تكون كرامتها بدون ثمن تستحقه.

"تفتح كفها بوضوح على ما دس في يدها... الورقتان سبة في حقها [...] يقصد ألا تشرع شراهتها على أقصى حد، أن تكون راضية قنوعا كما كانت طيعة [...] إن مبلغ الكرامة ومنتهى قمة الشرف بالنسبة إليها أن تجتمع به وتطازحه الغرام، كيف يريد وأنى يشاء ... حظها الأغر هذا، ساقها ليرفع من شأنها إلا حيث لا تقدر ولا يقدر ثمن ... حيوانيته؟ حظها السعيد رمى بها في فراشه. كفاها فخر تلك اللحظة معه. ألا يريد أن يقول إنه تلهى بها وانتهى؟[...] أن تتحفه بإكرامية، هدية[...] نظير ما أتاح لها من متعة وحظ نادر"[1]

فالاضطهاد والظلم يقوم على تفوق الرجل على المرأة وهيمنته عليها والتقليل من شأنها، واستلاب شخصيتها في الأخير والاستحواذ بها وإخضاعها لمشيئته ورغبته لا إلا ذلك، فهو يمارس سلطته الاستبدادية على ذاتها الضعيفة الخاضعة، ويحاول تطويع عقلها ضمانا لتطويع جسدها، ففي نظر ذلك الرجل (غياتة) بضاعة تلهى بها وانتهى الأمر ولبت أهواءه فقط، واعتبر ذلك أيضا مصدر فخر لأنه منح لها فرصة مشاركته الفراش واستشعارها بحرارة المتعة لا أن يدفع لها مقابلا عن ذلك، في حين (غياتة) وجهت جميع قواها لتصده وتأخذ مبتغاها لأنّ المال بالنسبة إليها هو ما يسد رمق عيشها، والحرمان والمعاناة التي تعاني منها في ظل التظلم الاجتماعي المغربي، فهي

[1] – أهل البياض، ص 25.

تحاول أن تكسر قيود الظروف الاجتماعية، وتفككها عن طريق المتاجرة بجسدها، وعلى إثر ذلك استعملت قوتها لتأخذ حقها بنفسها من الرجل.

" يدفعها باتجاه الخروج [...] تتكئ بكليتيها على الباب لمنع فتحه[...] تضغط بيسراها على عنقه، بينما يمناها تمسك برأس سكين في موازاة بطنه ... خذي. مرتعبا يرتعش ... خذي بطواعية يفرغ جيوبه. فتأخذ بكل هناء وابتهاج منه ... بطواعية قلب وخاطر. خذي ... زيدي[...] يمكنهاأن تدرك أنه لا يقصد أي إساءة ولم تفهمه. فقط لم يحصل تفاهم، الآن هو متأكد أن سوء تفاهم حصل [...] خذي ... خذي ما يكون غير خاطرك [...] وتخطوا على مهل باتجاه الخارج".[1]

أي حينما رأت (غياتة) هذا الأسلوب لا يليق بعلاقاتها مع رجل أعطته من روحها وجسدها الكثير، قررت أن تنتقم منه بطريقة سطوية باستعمال العنف بمختلف الوسائل. وأرادت أن تمحوا رجولته وحيوانيته، وبالمقابل هو استعمل أسلوب اللين، ليصنع من وراء ذلك فخا آخر لينال منها، كي تدفع هي ثمن غلطتها والإساءة إليه على أساس سرقته، حيث توجه إلى الشرطة وسجل دعوى اعتداء "... بدل أن يتستر على فضيحته، يسرع فيسجل دعوى اعتداء ... قال ياسيدي جاء... عاد... ليصادفها تغادر مسكنه، هاربة تركت وراءها علامة لا تخفى، فرد قرط لا تنكره [...] لا يمكن أن ينسى ملامحها، وقد يساعد في العثور عليها قالت لاداعي لتكذيبه في كل شيء وهو من هو، إنما اسألوه عن ملامح أخرى يعرفها[...] في جسدي ولا يعرفها إلا أمثاله. وقالت لا، لا خلوه لا عليكم منه، لا داعي لإحراج كرامته وهو من أهو [...] وأنا أحكي لكم عن علامات فيه[...] كان نذلا لئيما وشحيحا. ربما كان يفكر أني أقدم نفسي هدية [...] أخذت حقي منه رغما عنه".[2]

ظن هذا الرجل أنه إذا شكا ب (غياتة) إلى الأمن، سيتخلص منها ويستر عن فضيحة تلحق به، ولن تخدش كرامته باتهامها أنها سارقة دخلت مسكنه وسرقته، ولكنها أمام رجال الأمن دافعت عن نفسها بتقديم علامات موجودة في جسد ذلك الرجل. وما كان عليها إلا أن تأخذ منه حقها

[1] – أهل البياض، ص 26.

[2] – المصدر نفسه، ص 26، 27.

وتضعه في دائرة الواقع مع ابتهاج منه وتشجيع للأمر، فهي امرأة ترفض مذلته لها، فأرادت بذلك أن تمحو فحولته وتقاوم سلطته وهيمنته عليها.

فمن خلال هذا تمكن الروائي (مبارك ربيع) أن يبين لنا كيفية معاملة الرجل للمرأة المهمشة في ظل تجارتها بجسدها، وما يسلط عليها من ظلم وقهر، حتى وإن كانت الظروف المعيشية والمادية هي التي أجبرتها لفعل ذلك، ويبين أيضا ردة فعل المرأة فهي تتحول إلى لبؤة شرسة عندما يحاول أحد أن يأكل مالها وحقها، ففي نظر (غياتة) جسدها هو مكسب وطريقة لكسب العيش.

ب. الاغتصاب:

لقد شهد المجتمع المغربي مختلف أشكال العنف التي تفاقمت معدلاته حتى أصبح في شكل جرائم ترتكب ضد الأفراد، ومن بينها تلك المتجهة نحو المرأة والمتمثلة في جريمة الاغتصاب. وذلك ما حاول الروائي (مبارك ربيع) إبرازه في روايته (أهل البياض). إذ تعد جريمة الاغتصاب شكل من أشكال الجرائم الجنسية، التي تتميز بالعدوانية الناتجة عن رغبة جنسية مكبوتة يهدف المغتصب إلى إشباعها بشتى الوسائل، فالاغتصاب هو"... فعل اختراق جنسي في أي طبيعة كان ممارس ضد شخص آخر بالعنف والإكراه أو التهديد أو المفاجأة ".[1]

فحسب التعريف كل فعل جنسي غير مشروع، سواء كان طبيعيا أو شاذا، ومهما كان جنس الفاعل واعتمادا على الإكراه يعتبر اغتصابا. ولقد أصبحت ظاهرة الاغتصاب مصدر تهديد وخوف ومعاناة للمرأة في جزء من حياتها اليومية. بالإضافة إلى ذلك نجد أن الاغتصاب أنواع وتتمثل في: الاغتصاب كرمز للقوة، اغتصاب فاقدات الأهلية، الاغتصاب الانتقامي وأخيرا الاغتصاب العمدي. وهو المذكور في طيات رواية (أهل البياض)، فلقد حاول الروائي (مبارك ربيع) من خلاله أن يصور معاناة المرأة المغربية في ظل فئة المهمشين والواقع المأساوي للمجتمع المغربي، كما أنه عبارة عن صدى للأزمات الاجتماعية والاقتصادية.

[1] – البغال رشيد، الجرائم المخلة بالآداب فقها وقضاء، دار الفكر العربي،بيروت، 1983، دط، ص 310.

الاغتصاب العمدي:

وهو انصراف الإرادة إلى ارتكاب الفعل الرذيل وعمله، يوصف بأنّه يوقع المغتصبة بدون رضاها، أي أن الاغتصاب العمدي يقوم على عنصرين: الفعل والعلم بعناصر جريمة الاغتصاب، ذلك عن طريق استعمال القوة أو التهديد أو المكيدة المدبرة لجلب الضحية إلى المكان الذي يمارس فيه العمل الخسيس والمتمثل في الاغتصاب وفي النهاية هذا ما يولد استبعاد وتهميش المرأة من قبل المجتمع، واعتبارها امرأة فاحشة، تجلب العار لعائلتها بصفة خاصة وللمجتمع بصفة عامة. وهذا ما نجده بصفة جلية في رواية (أهل البياض)، فالفتاة (فايزة) عانت الظلم والقهر والاستبداد من طرف المجتمع المغربي، ذلك أنها تعرضت للاغتصاب وهي في مقتبل العمر من طرف صديق والدها (محجوب) الذي استغل طيبتها وبراءتها.

رغم أنّ فايزة لطالما اعتبرته في مقام والدها، لكن (محجوب) في الأساس هو رجل نذل همه الوحيد إشباع رغباته الجنسية، إذ وضع مكيدة ل(فايزة) عندما ذهبت إلى دكانه ذات مرة لشراء بعض البضاعة الرخيصة لإعادة بيعها في الشوارع والطرقات، كما جرت العادة، إذ وضع لها فخا من أجل تنفيذ خطته المتوحشة، حيث رغم أنه يريد اختبار قدراتها وشطارتها في عجن الخبز" ولم أكن أتجاوزه بخطوات حتى نداني. فايزة ... وقال إنّه يريد مني خدمة، وبدأ يمدح شطارتي في العجين... يريد أن أعجن له خبزة، وهو ما يقوم به كل يوم بنفسه. لكنه لم يستطع ذلك اليوم لتأخره في النوم ... ثم ألست امرأة ؟ يقصد أنني بنت ... امرأة... بنت ... كيف كيف يقول ذلك ضاحكا ... ما الفرق: امرأة أم بنت؟ البنت أحيانا أو دائما أشطر من المرأة... وأنت بالذات أشطر بنت".[1]

فمحجوب استخدم الحيلة والخديعة للوصول إلى مبتغاه، واستمالة فايزة والخضوع لرغبته عندما طلب منها أن تعجن له الخبز ، ولكن هدفه كان غير ذلك، إذ أنه أراد أن يسلب من (فايزة) أغلى ما عندها، أي يقوم باغتصابها والاعتداء عليها رغم أنها في عمر ابنته. وهو يعلم جيدا الظروف القاسية التي تمروبها الفتاة (فايزة)، فاستغل هذه الأوضاع الاجتماعية وحاجاتها للعمل لصالحه، فيشبع بذلك رغباته الجنسية ويمارس حيوانيته عليها، رغم أن المسكينة (فايزة) تعتبره أبا لها، فهذا

[1] – أهل البياض، ص 325.

يدل على أن المرأة تستغل بأبشع الطرق، وتسلب كرامتها رغما عنها، فالرجل يستغل دائما ثقة المرأة ليصل إلى رغباته وشهواته، فالخديعة التي استعملها (محجوب) لم تتنبأ بها (فايزة) لأنها لم تشعر بذلك، ففي نظره كل شيء عادي.

والاحتقار نتيجة خطيئة لم يكن لها أي ذنب فيها؛ وهذا ما نلمسه جليا في هذا المقطع " إما ملي بغيت تعملي عملتك؛ عملتيها براحتك؛ ترخيت وتحليت بوحدك.....ودبا علي أناتقنفدت؟ تنقنفيدة هذي يا بنت الحرام...وخ ما جرى باس؛ بغيتي الحرامية بغيتي؟ قدك أنا غادية تشوفي أمك (معزوزة) وعلاش قادرة"[1] يعني أنّ (فايزة) لا أحد يصدقها بداية من زوجة أبيها (معزوزة) خاصة وأنها كانت تبيع البضاعة في الشوارع والأزقة؛ حيث تقوم بتقبيل كل رجل يمر في الشارع من أجل استجلاب عطفه واستدراجه لبيع هذه البضاعة البسيطة؛ فالتصرفات التي كانت تقوم بها هي التي جلبت لها الأذى. وفي منظور المجتمع تعتبر الفتاة(فايزة) زانية ومذنبة؛ ويجب استبعادها هي وأهلها من الحي؛ رغم أنها حاولت الدفاع عن نفسها أمام الجميع؛ وكما سجلت دعوى عند السلطات الأمنية ضد (محجوب) لكن دون جدوى؛ فالكل لا يصدقها؛ إذ لا يجب المساس بكرامة الرجل(محجوب)؛ ففي نظر أهل الحي محجوب رجل ذو أخلاق عالية؛ على عكس تلك الفتاة(فايزة)" ياسيدي الاعتداء ثابت تؤكد ذلك بكل مسؤولية؛ ثابت تقول : ثابت مؤكد....اعتداء على قاصر أدى إلى افتضاض بكارتها[...] اعتداء....اغتصاب.....واضح"[2] " والقضية كلها بالنسبة إلى الفاعل المعتدي قيدت ضد مجهول. وهذه عبارة قانونية لا غبار عليها....وتجعل الملف مفتوحا لكل جديد...."[3] ويظهر من خلال ما سبق أن الفتاة المغتصبة تبقى تعاني من آثار الجريمة في حياتها؛ بوصمها اجتماعيا بالرغم من أنها ضحية؛ وهذا دليل على ترسيخ فكرة التمييز الجنسي؛ حيث يلقى المغتصب كل فرص التواجد والاندماج الاجتماعي؛ بينما المغتصبة يحدث لها العكس وتبقى معزولة ومحاصرة ومنبوذة وحتى مرفوضة اجتماعيا. إضافة إلى كون الاغتصاب يعرض الضحية القاصر إلى تجربة جنسية خطيرة قبل اكتمال ونضوج نموها الجسدي والنفسي "إن

---

[1] – مبارك ربيع، أهل البياض، ص 314.

[2] – المصدر نفسه، ص 327.

[3] – نفسه، ص 387.

الاعتداء الجنسي في الصغر يؤدي إلى تدمير النمط المعياري المعتاد للحياة الجنسية والنفسية للطفل أو الطفلة حيث لا يكون لهما حق الرفض أو الاختيار"[1] يعني أن للاغتصاب أثر بالغ في الجانب النفسي للضحية وخاصة أنها قاصر. إنّ الروائي(مبارك ربيع) يبين من هذه القضية كيف يتم الاعتداء على القاصرات في شوارع وأزقة المجتمع المغربي أو في أي مكان آخر في ظل المعاناة واللامساواة الاجتماعية التي تعيشها المرأة ووضح لنا فساد النظام الحكومي المغربي؛ فالجاني لا يعاقب على أفعاله الشنيعة كما أننا نلتمس من ذلك ارتباط الروائي بواقعه المغربي المرير.

2. قضية الفقر:

يعد الفقر من بين أهم القضايا التي تعرقل حياة المهمشين؛فنتيجة لدونية موقع الفئات المهمشة؛ وضعف وضعهم في المجتمع؛ وقدرتهم على التفاعل؛ تجد الشريحة المهمشة نفسها معزولة أو محاصرة؛ وبالتالي مهمشة من طرف الآخر (المركز) أي أنها ضحية الاستغلال الاجتماعي والاقتصادي. ولقد سلط الروائي (مبارك ربيع) في روايته(أهل البياض) الضوء على الشرائح الفقيرة والعاطلة عن العمل والفئات المنبوذة في المجتمع المغربي؛ وهي فئات مستبعدة اجتماعيا؛إذ يحاول الروائي تعرية هذا القناع الاستبعادي الذي يجسم على هذه الفئات الاجتماعية. فهذه الأخيرة تعاني من ظروف اجتماعية حادة هشة؛ ومن مثل ذلك: الاضطهاد والظلم؛ القهر والفقر وهو " ظاهرة اجتماعية مركبة ويمكن ربط ظاهرة الفقر بالعوامل المؤدية إليه من حيث أنها عمليات استبعاد اجتماعي تحول دون الوصول إلى الأصول الطبيعية والبشرية والاجتماعية؛ ونعني بالأصول جميع الموارد والعمليات التي يمكن استخدامها للحصول على مصدر دائم للرزق ورفع مستوى المعيشة؛ ومن أكثر تفسيرات الفقر أهمية وأكثرها راديكالية ما ذكره كارل ماركس بأن الفقر ليس أمرا طارئا؛ ولا ناتجا عرضيا؛ وإنما هو جزء من النسق الاجتماعي الرأسمالي فهناك قوة اجتماعية مؤثرة لها مصلحة في وجود الفقر"[2] أي أن الفقر هو عدم القدرة على بلوغ الحد الأدنى

---

[1] – سهام عبد السلام، العنف ضد المرأة، مركز قضايا المرأة العربية،، القاهرة : 2008 ،دط. ص 18.

2 - هناء محمودي شكري: المهمشون كارثة عمرانية بيئية مؤجلة، عن الموقع :

https://www.researchgate.net/publication/321579338، بتاريخ: 2018/05/18.

من الشروط الاقتصادية والاجتماعية التي تجعل الفرد يحيا حياة كريمة. كما أن الفقر ومعاناة الفقراء في المجتمع المغربي؛ يؤدي إلى استبعادهم حيث نجد الروائي "مبارك ربيع" ويرصد لنا الحياة البسيطة للفقراء بكل تفاصيلها إذ يصور لنا البؤس الاجتماعي" وبعضهم يبعث صغاره؛ فينتهز شطارهم الفرصة ليسا ومو على حلوى أو بسكوتة رخيصة؛طالبين من محجوب بتواطؤ خفي إضافتها إلى الحساب دون علم ذوي الأمر .مناورات أحيانا تنجح وأحيانا لا حسب الطالع والمزاج"[1]

فمن خلال هذا المقطع نلاحظ أن الروائي تعمق في المجتمع المغربي؛ وحاول أن يصف لنا الحياة البسيطة والأوضاع المزرية التي يعيشها الفقراء؛ فالفقير لا يملك بما يسد رمق عيشه؛ ففي بعض الأحيان يشتري حاجياته دون أن يدفع؛ فيتراكم عليه الدين؛ والأطفال الصغار أيضا بسبب الفقر حرموا من بعض الملذات أو الحاجيات التي يجب أن تكون من نصيبهم؛ فالروائي يقول أن الأولاد يقتانون الحلوى الرخيصة دون علم ذويهم بإضافتها إلى الحساب كما أن شخصية محجوب تنعدم فيه الإنسانية والضمير؛ فهو يستغل هذه المناورات ليكسب مالا أكثر من طرف أهل الأطفال وتراكم الديون عليهم؛ وفي بعض الأحيان يتعدى ذلك ليدفع الإنسان المغربي تلك الديون بأشياء أخرى غير المال. إذ الفقير رغم كدحه طوال اليوم وممارسته الأعمال الشاقة إلا أن راتبه لا يكفيه خاصة مع غلاء المعيشة. " عبارة واردة مورد الحكمة؛ تكرر مرارا في أحاديثهم إلى درجة التساؤل لأول وهلة؛ هل كان كل منهم يلتزم فعلا بإفطار قبل الخروج ؛ أم هو نوع من التباهي الفارغ؛ لا للدلالة على حسن الحال أو عشرة فحسب؛ وإنما لإثبات أدبيات خلقية؛ خير اليوم من بدايته؛ ومن شؤومه الخروج هكذا على الريق.انما يستدرك عادة بالفهم أن ما تيسر؛ لا يعني أنه غني؛أو محدد في الكيف والكم.... وإنما هي العادة؛ بل قانون الكدح واليوم؛ ولو كانت جرعة ماء صافية هكذا. قل انه قانون الحياة أو ضريبة الخروج وطقوس ما يتطلبه اليوم." [2]يتبين مما سبق أن الروائي يريد إحالتنا إلى قانون حياة الفقراء؛ كما يبين لنا الأجواء اليومية التي يعيشها المهمش المغربي؛ إذ لا

[1] – أهل البياض، ص 37.

[2] – المصدر نفسه، ص 104، 105.

يقدر أن يعيل نفسه وأهله حتى أنه بالكاد لا يحظى بفطور كل صباح؛ حيث يكتفي بجرعة ماء صافية ويعتبر ذلك حكمة الحياة.

فالروائي (مبارك ربيع) يوضح لنا عجز بعض الناس عن تغطية الالتزامات والمتطلبات اليومية، وعدم كفاية دخلهم للإيفاء بما تمليه عليهم التزامات الحياة سيؤدي إلى إرهاقهم وإجبارهم للبحث عن أي وسيلة تساعدهم على العيش والبقاء والاستمرارية، وفي حالة إفلاتهم لطريق العيش الكريم، وفقدانهم الأمل في ذلك ينجرون وراء سبل أخرى، فالفقر في بعض الأحيان يدفع أصحابه إلى التنازل عن قيمهم ومبادئهم وأخلاقهم والقبول بالعمل بمهن مشبوهة وغير مرغوبة فيها إجتماعيا وأخلاقيا حيث أن الارتفاع المتزايد للفقر ساهم في بروز عدة ظواهر اجتماعية خطيرة تزيد في هموم المهمشين، أي أنها تنعكس سلبا عليهم. ومن أهم الظواهر التي ينتجها الفقر: ظاهرة الخارجون عن القانون، الفساد الأخلاقي والتسول.

أ. الخارجون عن القانون/ المتمردون:

إن الفقر آفة اجتماعية خطيرة، إذ تدفع بأصحابها إلى القيام ببعض الأعمال غير قانونية، فهم فئة مهمشة منحطة، وهي مرفوضة من سلطة المجتمع، فالفقير المحروم من أدنى مقومات الحياة كثيرا ما يدفعه بؤسه وحرمانه وغريزة حب البقاء إلى البحث عن إشباع حاجته الأساسية أو لرفع مستوى أسرته بطرق غير مشروعة لغرض التكافل الاجتماعي.

لكنه سرعان ما يقع في شراك الخروج عن القانون والنظام السائد والتمرد عليه، أي أنهم يخلقون موروثا خفيا يمثل نقدا لسلطة الدولة، يخلقون سياسة تحتية لكبح الفقر الذي يفتك أجسادهم، مما يدفع بالسلطة إلى مطاردتهم. والروائي (مبارك ربيع) جسد ذلك في روايته (أهل البياض)، حيث أظهر لنا الأوضاع المضطربة التي يعيشها الفقراء والمهمشين، وكيف ينعكس ذلك عليهم، فالإقصاء والتهميش والمعاناة بسبب الفقر، يجعل تلك الفئة تتجه نحو مهن مشبوهة أو شرب الخمر وتناول المخدرات لنسيان همومهم ومعاناته

ولكن تزيد مرارة الحياة لديهم لما تزج بهم السلطة وراء القضبان الحديدية "كانت جولة هذه الليلة، في البحث عن التائهين والمتشردين طوعا أو غضبا عنهم، تقود دورية الشرطة في جولتها ببعض

أطراف المدينة، إلى جمع خليط من المتسكعين والسكارى والمهمشين والموماسات واللصوص ومروجي المشتقات المخدرات الرخيصة، يدخل معظمهم في باب الوجوه المألوفة، وبعضهم الآخر فيما هو من جنسها أو شبيهه [...] لم يكلف أفراد الدورية أي جهد يذكر في الإمساك به وحشره في الفاركونيت، إلا ما يكون من خيانة ركب ومفاصل بعضهم نتيجة خزر وفقدان القدرة على السعي والوقوف عقب إفراط في تناول مسكرات ومخدرات مما يستدعي جرهم جرا إلى السيارة بالتعاون بين أفراد الدورية فعلا".[1]

يتجلى من خلال ما سبق كيفية معاملة رجال الشرطة مع فئة المهمشين أثناء جمعهم من الأزقة والطرقات والشوارع، فأطراف المدينة ملاذ التسكع والعبث والاستهتار، ناهيك عن كونه حانة جرداء لشرب الخمر والمخدرات. إذ تقوم دورية الأمن بجمع هؤلاء المتسكعين والسكارى والمهمشين ومروجي المخدرات في المناطق النائية وقارعة الطرقات، فالبعض منهم لهم سوابق عدلية والبعض الآخر من جنسهم، فبسبب تناولهم لهذه المهلوسات والخمر ... إلخ

يصبحون في حالة مزرية فبالكاد لا يستطيعون الوقوف على أرجلهم مما يسهل عملية القبض عليهم من قبل الشرطة. فيجرونهم جرا ويضعونهم داخل سيارة الفاركونيت وهذا ما يعكس بشكل جلي ما يحدث في الواقع المغربي، فمعظم أفراد المجتمع المغربي يعيشون في ضنك، في عزلة في احتقار لذاتهم كونهم يشعرون أنهم عالة على المجتمع ما دام أهملوا وأقصوا منه، فنهجوا سلطة لذاتهم، هي التمرد والابتعاد عن كل القوانين التي تحكمهم، والسبب في ذلك هو إرهاب الفقر ولتعريته سلكوا مسالك غير قانونية ومخالفة للعادات والتقاليد السائدة بغية الحصول على الكسب المادي ومتعة الحياة بنسيان كل مشاكل الحياة ومرارتها، فيتناولون أشياء تنسيهم الواقع بل حتى أنفسهم من يكونون.

"يصيح الشرطي بزميله أن يكف عن إضاعة الوقت مع هؤلاء فلم يعد أحد يدري ماذا يتناولن حتى يصبحوا في هذه الأحوال"[2]، فالإنسان الذي يعيش مهمشا وفي عزلة دائمة بسبب الفقر

[1] – أهل البياض، ص 07.

[2] – المصدر نفسه، ص 16.

والمعاناة تصبح حياته دون ألوان، لا لون للحياة لديه، وعلى إثر ذلك يتعاطى المخدرات والكحول هروبا من الواقع الاجتماعي الذي يعيشه.

إن الإنسان المدمن يصبح في حالة اللاوعي، لا يشعر بما يدور من حوله، فينشئ عالما آخر لحياته، وبذلك ينسى الإقصاء والتهميش الذي يعاني منه. الروائي (مبارك ربيع) يبين لنا من خلال ذلك هشاشة البنية التحتية والحالة المأساوية التي يعاني منها الشعب الدوني المغربي. بالإضافة إلى ذلك يبين استفحال الفقر وممارسة الفقراء المهمشين لظاهرة التهريب وبيع الممنوعات كما كان يحدث مع السهلي "عادة يبدأ يوم السهلي باكرا، وباكرا جدا خصوصا عندما تكون جولته ما بين مراكز ومدن، يبتاع ويشتري ما يروج من بضاعة غير محددة بقدر ما هي بنت يومها، بنت ما تجود به سوق المهربات [...] لذلك كان على أهبة الاستعداد للحظة انطلاقه مهتما بإحكام إغلاق الباب وراءه من الخارج، بأقصى دورتي المفتاح على غير العادة، العادة أن تملأ راضية غيابه عن المنزل، سواء أطويلا كان أم قصيرا، حسب ما تقتضيه جولاته المتقطعة مرات في الأسبوع، على بعض الأحيان والمدن يعرض على تجار ما تحصل لديه من بضائع أجنبية مهربة، أغلبها مزور العلامات بتقليد متفاوت، بل كانت راضية لتسرع من ذاتها وراءه، تغلق من الداخل ...".[1]

لجأ (السهلي) إلى بيع المخدرات والمهربات بعد أن ضاقت به حياة الفقر والتهميش. ولم يعد يملك أي سبيل لسد احتياجاته الخاصة وذويه، فالحالة التي آل إليها بسبب الفقر وعجزه من التخلص منه، دفعته إلى الدخول في عالم الإجرام، إذ يتجوّل ما بين المدن والمراكز ليقتني البضائع الأجنبية المهربة، ثم يعيد بيعها في الأحياء والمدن بعرضها على التجار وتكون بضاعته في بعض الأحيان مزورة العلامات أي فيها تقليد، كان السهلي يقوم بهذه الأعمال بما فيها التهريب والتزوير والبيع بحرص على غلق باب بيته جيدا وزوجته (راضية) تغطي عليه غيابه كي لا يعلم أحد ما يقوم به. ربما يكون هذا هو المأوى الذي يتخذه المهمش المغربي في مجتمعه بعد فقدانه الأمل واليأس من حياة الفقر التي يعيشها.

[1] – أهل البياض، ص 131، 132.

عمل الروائي (مبارك ربيع) على نقل الواقع المغربي دون تزييف ليكشف وبأ الفقر الذي يعتري مجتمعه، وما آل إليه نتيجة ذلك من دمار وفساد في الأخلاق ومحو القيم في المجتمع المغربي، فالهواجس ومكبوتات الضيق من الأزمة الاقتصادية والاجتماعية التي تسكن المهمشين الفقراء أصبحت ظواهر عارمة وفتاكة تجول في مناطق المغرب بالكاد لا نصدق تلك اللوحة التي رسموها بين السطور أن المغرب بلد الثراء والغنى والسياحة تشب فيه هذه الآفات غير قانونية، والتي تعمل على زعزعة الذات الإنسانية.

ب. التسول:

إن مشكلة التسول تغزو مجتمعنا بمختلف أشكالها وأساليبها، وهي تعد من الظواهر المنبوذة في المجتمع، حيث تمارس من قبل بعض الشرائح والفئات الاجتماعية المهمشة، والتي تعاني من المشكلة الاقتصادية والعوز المادي، أو من بعض الفئات ذوي الاحتياجات الخاصة، أما في الآونة الأخيرة فقد أصبحت مهنة لمن لا مهنة له أو أكثر من ذلك، إن الدافع لانتشار ظاهرة التسول هو الفقر، حيث ينتشر هؤلاء المتسولين في الشوارع العامة والأزقة وفي الأماكن التي يزدحم فيها الناس:" التسول هو الوقوف في الطرق العامة وطلب المساعدة المادية من المارة أو الأماكن العمومية أو الادعاء أو التظاهر بأداء الخدمة لغيره [...] أو المبيت في الطرقات وبجوار المساجد والمنازل وكذلك استغلال العاهات".[1]

أي أنه طلب المساعدة أو الإحسان من الناس أو التظاهر بأداء خدمة معينة لغرض كسب المال. إن ظاهرة التسول خارجة من رحم الفقر، فعندما لا يتمكن البعض من الحصول على فرصة العمل وإعالة أطفالهم وذويهم، أي أنهم لا يملكون أبسط مقومات الحياة فيلجؤون بذلك إلى التسول. ولقد حاول الروائي (مبارك ربيع) تقصي هذه الظاهرة والكشف عنها من خلال بعض الشخصيات داخل الرواية

" وتقبل أن تكون دليله ومرافقته في التسول [...] وإنما اهتمت بتأكيد نصيبها من دخل اليوم ... منتصفة؟ حمقاء... صعقته بطلبها... لا يتعدى نصيبها الربع. لن، أبدا ... هو الذي يبح صوته

[1] – محمد أبو سريع، ظاهرة التسول ومعوقاتها ومكافحتها، القاهرة : 1986، دط. ص 04.

بالترنيم، ويعرفه الناس، يعشقون ترديده ويعطونه ولا يعطون غيره... الربع لا أكثر، وهو كثير على امرأة كل مهمتها أن تقود أعمى يعرف طريقه جيدا بدونها، وبدون أي أحد لولا حرصه على المظهر [...] لا بد من بعض السرعة وإنهاء جولاته وقت الذروة المناسبة، وقبل جولة آخرين منافسين في الساحة"[1]

إن هذا الأعمى (عبد الله البصير) وجد في مهنة التسول ضالته، إذ أنه يفتخر بنفسه أنه معروف بين أهل الحي وترنيم صوته يعشقه الجميع بذلك يعطونه ولا يعطون غيره. أي أن هناك منافسة بين المتسولين في استخدام أساليب لجذب الناس وكسب عطفهم.

ولكن هذا الأعمى قرر أن يتخذ لنفسه رفيقا ذليلا له من باب المظهر، فلجأ إلى امرأة تدعى (السوالة) طالبا منها ذلك مقابل أن تأخذ الربع من دخل اليوم، لكنها رفضت ذلك، حيث أنها أرادت النصف لأنها على دراية بأشكال التسول وأساليبه وكيف تسرع في إنهاء جولات التسول في وقت محدد قبل أن تعج الساحة بهؤلاء المتسولين المنافسين. ولما أبى البصير طلبت منه أن يصطحب معه ابنته (فايزة) وتكون رفيقته ودليلته في التسول" فايزة تتسول وأبوها حي يرزق؟ أتظن السوالة ... أنه لمجرد أن عاشرها معاشرة الرجل لنساء، امتلكت حق الإفتاء عليه..."[2] يعني أن (البصير) رغم الظروف الاجتماعية التي يعيشها والفقر المدقع الذي يكسوه إلا أنه يرفض أن تتسول ابنته الصغيرة (فايزة) وهو مازال على قيد الحياة.

فما نلمسه هنا أن الإنسان المهمش رغم وصوله إلى مرحلة أين يذل نفسه وتتحرج كرامته إلا أنه يدافع عن أبنائه.فالبصير أراد أن يتكفل بعائلته حتى وإن اتخذ من التسول مهنة له على أن يجعل من ابنته سوالة. كما أن للتسول عاهات يتعايش معها كحقيقة واقعية ومقبولة وتكون متلبسة بشخصيته ومن خلالها يتمكن من مزاولة نشاطه اليومي الذي يختاره؛ فمعظم هؤلاء المتسولين يسخرون عاهاتهم في التسول لشعورهم بالتهميش والإهمال. كما أن المتسول يعاني من الإذلال فلا يأخذ حاجته من الآخرين إلا بعد احتقارهم وازدرائهم له؛ ومن ثمة يعتاد على ذلك فيصاب بالذل

[1] – أهل البياض، ص 48.

[2] – المصدر نفسه، ص 51.

والهوان ويصبح ذلك جزء من سجيته." ينطقها لبصير في تأفف من سلوك عنبة كما سماها [...] فعلا كان ذات يوم يلوك عنقود عنب غير ناضج؛ بل في أوج حصر ميتة نفحه به الملعون بائع للخضر؛ مصبحا على ربه مستعيذا به؛ من رؤية سحنة لبصير قبل صبيح محيا صفحة الخمسين درهم والمائة(...) ليبدأ في الترنيم المعهود طالبا صدقة.....ملعون....ألقمه به عنوة ؛ جعل لبصير يرمي بين أضراسه؛ وهو بعد على الريق؛ ثلاث أربع حبات بالغة الحموضة [...] سر لعنك الله.... يطلقها الخضار قذفة مضادة باتجاه البصير؛ بينما الأخير كان قد خطا بعيدا مرتكبا مدركا أنه أصاب بقذفته التفالية سحنة الخضار الملعون؛ مبتعدا تغامره بقية شهقته في احترار حلقة الجريح؛ غنة ضحكة مكتومة؛ ويرد بصوت مسموع جدا. صدقة بمثلها....والبادئ اظلم".[1]

يتبين مما سبق أن (عبد الله لبصير) أثناء ممارسته للتسول يعاني من المذلة والجشع من طرف الآخرين. فتزداد معاناته أكثر مما يعاني من سوء أحوال الفقر لكنه يصبر على ذلك من أجل سد رمق العيش؛ يعني أن التسول يعد شكل من أشكال الفقر لكنه أكثر حدة ومذلة في جانبه السلبي، أما في جانبه الايجابي فيعد مكسب الرزق وإزالة الحواجز الاجتماعية التي تعرقل سبل العيش الكريم والحصول على المال دون بذل أي جهد ولا مشقة من طرف صاحبه. إن ظاهرة التسول تعكس المستوى الواقعي للمجتمع المغربي؛ أي انتشار التسول دليل قاطع على أن الواقع المغربي يعرف هشاشة على المستوى الاقتصادي وسوء التدبير السياسي وسوء الأوضاع الاجتماعية. فمفهوم الكرامة والمواطن والحق لها مفاهيم جسدت فقط على الورق. والروائي (مبارك ربيع) أدرى بواقعه المغربي لذلك قام بتشخيصه؛ فالمهمشون يمشي الفقر في عروقهم والبؤس يتكلم من ملامحهم. الفقر قضية من قضايا المهمشين التي يعجز فيها الفرد المهمش عن إشباع حاجاته الضرورية ومقومات الحياة؛ التي تصون له كرامته الإنسانية. فكلمة الفقر لها واقع سلبي في النفس الإنسانية؛ فهو مرتبط بواقع الحياة المر الذي ينجم عنه عدة أشكال من الانحرافات بما فيها التسول والخروج عن القانون والفساد الأخلاقي والدخول في عالم الجريمة التي تؤرق أمن المجتمع. فالفقر من أخطر الآفات على الهوية العقدية للإنسان.

[1] – أهل البياض، ص 138، 139.

3. قضية الجنون:

إن الجنون مظهر من مظاهر السلوك المضاد في مجتمع انسدت فيه كل وسائل التعبير والإبداع والحرية. فالجنون قد يكون حقيقة مرضية ناتج عن اضطرابات نفسية وقد يكون نوع من الرفض وهروب من الواقع، فهو بذلك ناتج عن الاختلالات واللاتوازن الاجتماعي، إذ يمكن اعتباره في هذه رد مرضي على الإقصاء والتهميش الذي يقع الفرد ضحية له في المجتمع. " ويتعدد مفهوم الجنون حسب الرواية التي نقرأه بها والمجال الذي تتناوله، فهو في الدين ذو وجه مختلف عن علم النفس الذي يقسمه إلى أشكال ومستويات وفي التاريخ هو مراحل.

ولعله في الأدب أكثر قداسة بما يمنحه للمؤلف من عوالم حرة غير مراقبة ولا منطقية تستوعب جنون المؤلف قبل شخصياته ولعل هذا ما دفع "ميشيل فوكو" في تتبعه لتاريخ الجنون إلى اعتباره شكلا من أشكال العقل تم استنباته فيه والسيطرة على أطرافه وفي ذلك يقول:" لقد أصبح الجنون شيئا فشيئا أعزل ومفصولا عن موقعه الأصلي، لقد احتاجه العقل، وتم استنباته داخله...لقد اكتشف العقل الجنون باعتباره إحدى صوره الخاصة"[1]

ويعد الجنون موضوع من مواضيع رواية (أهل البياض) ل (مبارك ربيع) حيث نقل لنا تجربة إنسانية داخل المجتمع المغربي، ومن جهة حاول أن يظهر لنا أن الجنون هو محاولة نسيان الحقيقة والواقع والهروب منه، ومن جهة أخرى يبين لنا أن الجنون هو محاولة نسيان الحقيقة والواقع والهروب منه، ومن جهة أخرى يبين لنا أن الجنون هو حقيقة مرضية أو هو اختلالات نفسية ناتجة عن أسباب مختلفة، وذلك من خلال شخصية الدرويش (ليشير) الذي يعاني الإقصاء والتهميش من طرف المجتمع، تلك الذات الإنسانية التي تتوسط عالمين: عالمه الخاص الذي هو عالم وهمي والعالم الثاني هو ذاك العالم الذي تشترك ذاته مع ذوات المهمشين بما فيه الإقصاء والاستبعاد والمعاناة والقهر والظلم.

[1] – ينظر، حمزة قريرة، الجنون وانكسار مسارات السرد في رواية وصية المعتوه، مجلة الأثر، جامعة قاصدي مرباح ورقلة : 2017، العدد 29 . ص 220.

"... سبحت كثيرا في بحيرات خضراء بدون أن يحد أحد من لهوي وعبثي، ولا الحارس اليقظ استفسر عني، أو تطلع إلى حركة الشمس في السماء، ولا أشار باتجاهي إشارة مستعجل أو متبرم، إنّما كان حريصا على أن يجدد خضرته بين لحظة وأخرى، ويقدم لي بابتسام شرابه الأخضر الدافئ المنعش، كلما توقفت عن السباحة في الأخضر لحظة، ووقفت على قدمي أستروح أو أتهيأ في عمق نصف قامة قال لي الحارس إذ ذاك وكرر ما قاله. إنه سعيد باستقبالي متى رغبت في ذلك. لكنه طلب مني أن لا أدل أحدا على ما أراه من خضرة هنا، وأن أظل مع الناس في البياض.وهو على كل حال لن يسمح لأحد بأن يرى مثلما أرى فأحرى أن يتيح له نعيما أو تمتعا".[1]

يتضح أن الدرويش (ليشير) اتخذ عالما خفيا لذاته يميزه عن العالم الواقعي، إذ يتميز بالحيوية والاخضرار على عكس العالم الواقعي الذي لا لون له إلا البياض الذي يثلج عليه. حيث تتصل ذاته وتتفاعل في عالمه الخيالي الأخضر أكثر مما تتفاعل مع عالمه الحقيقي المليء بالبياض، فذاته تقع وسط عالمين حيث لا يمكنه أن ينتقل تماما إلى عالمه المختص أو الانفصال عنه والغرق في بياض المجتمع المغربي، أي أن (ليشير) استبدل عالمه الواقعي بعالم بديل للهروب من الواقع المرير الذي يعاني منه.

ربما ذلك يعد نوعا من الانفصال المؤقت عن العقل، وهو حالة طارئة قد تعتري المجنون

(ليشير) في مسار حياته لأسباب مختلفة، ويعد لحظة فاصلة بين الحقيقة والوهم، بين واقع مرتب ومؤثث بشكل ما إلى واقع افتراضي يؤثثه الدرويش (ليشير) حسب تصوراته الخاصة هروبا من الواقع ومحاولة لخلق واقع مختلف يحقق فيه نشوة حضوره المتفرد والاستمتاع على غير العادة، إنه يؤسس لذاته الفريدة التي لا يشاركه فيها أحد

لكنه مجبر على العودة إلى العالم الواقعي والانخراط فيه، ومشاركة غيره من المهمشين في عالمهم الذي يسوده مختلف أشكال وأنواع الاستبداد والسيطرة والهيمنة المطلقة من قبل سلطة الدولة أو المجتمع. فتصبح حياتهم بذلك كلها بياض. فشخصية المجنون (ليشير) تعيش حالة مد

[1] – ينظر، حمزة قريرة، الجنون وانكسار مسارات السرد في رواية وصية المعتوه، مجلة الأثر، ص 220.

وجزر، خاصة وأننا في العرف الاجتماعي نعلم أن المجنون منبوذ وغير معترف به من ناحية الإنسان العادي، إذ لا أحد يبالي به أو بما يصدر عنه من أقوال وأفعال.

فنظرة الإنسان العادي إليه تبقى نظرة دونية ونظرة احتقار ولا مبالاة لما يفعله، في حين أن ذات المجنون في نفس الوقت تعتريها الفرح في عالمها الخاص، وهذا ما دفع بالإنسان المهمش الهروب من الواقع المزري والنظام المستبد ليلبس قناع الجنون لصد كل أنواع الإقصاء والتهميش التي طغت عليه.

أ. الجنون مرض نفسي:

عندما تسيطر الأفكار السوداء على مخيلة الشخص، وتجتاحه الأحاسيس السلبية ويعتقله الحزن والاكتئاب في حجرة مظلمة، يكون قد سقط فريسة مرض الجنون الذي يحرم صاحبه الابتسامة والصحة والأمان، فيرده ضحية من ضحاياه حيث يكسر إرادته ويعاكس رغباته، فيجعله يمر بأيام عصيبة يرى فيها الابتسامة تاجا فوق رؤوس الناجين من أنياب هذا المرض الفتاك بحياة المرء وقدراته على العيش بشكل طبيعي.

فالجنون بالنسبة لعلم الطب:" خلل عقلي أو لوثة ويصنف تحت الاضطرابات الذهنية"[1]. فلقد اكتست ظاهرة الجنون حضورا مهما في الأعمال الروائية وذلك عبر شخصياتها التي هتك الجنون صحتها وراحتها، وجعلها مختلفة عن باقي الشخصيات الأخرى بسبب معاناة المرض.

تعتبر رواية (أهل البياض) من بين الروايات التي تطرقت إلى ظاهرة الجنون كحقيقة مرضية وكحالة نفسية، وذلك من خلال شخصية (ليشير) الذي يعيش تائها وغريبا يتصرف تصرفات عجيبة تثير دهشة من حوله، فهو يختلف عن البقية في كل شيء، عديم المسؤولية ولا يخضع لسلطة أحد حتى أنه لقب بالدرويش (ليشير) وهذا بسبب المرض النفسي الذي سبب له المعاناة وفقدان الهوية والتشكيك في كل يقينياته، فليشير دائما غائب عن الحياة اليومية، فهو لا يشعر بما يجري حوله " أما هذا المحشش المغمض العينين في نشدان للنوم والظلام، فأمامه ساعات ليؤوب

[1] – لطفي شرابي، معجم مصطلحات الطب النفسي، مركز تعريف العلوم الصحية، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي : دت، ص 61.

إلى رشده، لا خطر من حالته ومثيلاتها معروفة. لا بأس من وضعه في الحجز إلى الصبح مادام لا يملك قدرة على تبيين أوراقه في خارطة جيوبه الضائعة ... أوراقه؟ إنها هنا على كل حال في مكان ما، جيب من جيوب كيانه... يستغيث طالبا للنوم ويستجدي بلسان متعثر من أجل إطفاء جيد للأنوار. إطفاء جيد جدا وليس أي إطفاء، وهو مغمض عينيه تماما، صانعا من كفيه مزيدا من الوقاية لهما من أي احتكاك بالرؤية".[1]

إن (ليشير) يعاني حالة من الاضطراب النفسي ما جعله غريبا عن نفسه ضائعا منها، تائها لا يعرف أي وجهة يتخذ حتى أنه لا يملك أوراق تبين هويته فهو يعيش في عالم مظلم بعيدا عن أنوار الحياة اليومية، فاليشير لا يحب الضوء حيث أنه يكرهه حتى وإن كان مغمض العينين، فحالة (ليشير) المرضية لا تسمح له رؤية الألوان، فعالمه يتسم بالظلام والمعاناة والكآبة.

إن الجنون بالنسبة (ليشير) بمثابة عملية محو لذاكرته، حيث أصبح لا هوية يشعر بالاغتراب والقلق والتلاشي وعدم الانتماء، إذ أن مرض (ليشير) يسبب له نوبات واضطرابات نفسية عنيفة تؤثر سلبا عليه، وتجعله يشعر بالتعب والإرهاق "يسحب ليشبر من يده دون استجابة... مرتخية أوصاله ثقيلة يده والكيان يعادل وزن جبل، يمضي متثاقل الخطى ... زد أولدي ... لا يفيد تحميس مزاوي في استصدار استجابة ليشير، وإيقاع الورشة نفسه كالمتوقف غير مألوف من آلة الشغل التي لا تتعب ولا يعتريها العطل. برغم كل شيء، يبدو ليشير متناثر الأطراف، وكأنها المفاصل وحدها تتدلى أو ترتبط بوهن، في كيان واهن أصلا، غائب تماما. غياب حركة وكيان غير مألوف. في غياب عقل وإدارك مألوف ... ما به؟ لا يجيب ليشير ومحاولة مزاوي لتحريك الرجل، لا تكشف أكثر من يدين متدليتين إلى جبينه"[2]

الدرويش (ليشير) اسم أطلقة (مبارك ربيع) على هذه الشخصية التي وقعت ضحية مرض نفسي سبب لها حالات غريبة، فليشير يعمل دون توقف حتى أنه شبهه بآلة الشغل التي لا تتعب، ولكن عندما تعود له تلك الحالة المرضية فإنه ينهار كلية ويصبح في حالة يرثى لها حتى أنه

[1] – أهل البياض، ص 29.

[2] – المصدر نفسه، ص 283، 284.

يغيب عن الوجود، فيغيب عقله إذ يدخل في عالم آخر شبيه بالعدمية، حيث أنه لا يعرف ولا يدرك شيئا مما يدور حوله لأن مرض الجنون أفقده كيانه وحركته الديناميكية وعقله وإدراكه، لقد دخل في عالم الغيبوبة، فحالته النفسية المتأزمة سببت له نوعا من الانفراد والعزلة والوحدة عن المجتمع الذي همشه واستبعده وألغى دوره في المجتمع باعتبار أن المجنون هو شخص عديم المسؤولية والفائدة، فهو لا يملك لا قدرة عقلية ولا قدرة جسدية للقيام بواجباته اتجاه مجتمعه.

إن السلوكات التي يقوم بها (ليشير) سلوكات غير سوية وغير واعية وهذا بسبب المرض الذي يعاني منه. أي أن المجنون (ليشير) قد يشكل خطرا سواء كان ذلك على نفسه أو على من يحيطون به "يجهد لطمأنة المرجل وتهدئته في مجلسه بينما هذا لا ينقطع عن تحركه المستمر، غير عابئ وكأنه غير شاعر بأثر فعل القيد في معصمه، مما يجعل الشرطي المرافق في شبه يأس من جهود التهدئة أو مما يقتضي ذلك من وقت على حساب راحته وأوان انصرافه إلى أهله، فيبادر زميله حالما يضع سماعة التليفون، بإشارة منه أنه لا يحتمل أن يستمر أكثر وما عليه إلا أن يزج بالرجل في الحبس، يقابل شرطي المخفر اقتراح صاحبه بابتسامة باهتة، تنبئ بتخوف من حبس شخص في هذه الحالة من التوتر والهياج".[1]

يتبين لنا من خلال هذا المقطع أن (ليشير) في بعض الأحيان يفقد القدرة في التحكم في عقله، الأمر الذي يدفعه إلى التصرف بطريقة مختلفة عن السلوك الطبيعي، فهو لا يدرك ما يدور حوله من وقائع أو حقائق حيث يتصرف بشكل غير سوي حتى وإن كانت تصرفاته ستنعكس سلبا عليه، فهو لا يأبه لذلك لأنه لا يشعر بشيء. ففي هذا المقطع مثلا يحاول (ليشير) نزع القيد الحديدي من معصمه ويده تكاد تنقطع بفعل الحركة المستمرة محاولة منه نزعه، فليشير فاقد لكل إحساس، ذلك أنه يتصرف بطريقة لا واعية وهذا ما جعل شرطي المخفر ينظر إليه نظرة تخوف، باعتبار أن (ليشير) شخص مجنون إذ أنه يشكل خطرا على نفسه وعلى الأشخاص الآخرين.

إذ أن كل سلوك يتبادر من طرف المجنون سواء بالأفعال أو الأقوال بما يتضمنه من شتم وسب وأقوال لاذعة يصدرها دون تفكير لعدم امتلاكه العقل تندرج ضمن التهميش الاجتماعي للمجنون،

[1] – أهل البياض، ص 35.

حيث أن لهذه اللغة التي ينطق بها المجنون والتي تعبر عن حالته النفسية والمرضية في حد ذاتها لغة مهمشة كون أن المجنون غير معترف به في الحياة الاجتماعية العادية، أي أن نظرة المجتمع إلى الشخص المجنون هي نظرة دونية تحمل قدرا كبيرا من الازدراء والاحتقار، ما يجعل الشخص المجنون يشعر بقلة الاهتمام والتجاهل والشعور بالوحدة يدفعه إلى العزلة والهروب من المجتمع الذي يرفضه ط، وهذا كله يخلق فيه أمراض نفسية أخرى.

ب. الجنون رد فعل على الإقصاء والتهميش:

يعتبر الجنون في بعض الأحيان تمردا على الواقع وعدم القبول به، فالمجنون اختار الهروب من واقعه لعدم تقبله المعاناة والبؤس والحرمان والتهميش الذي سببه له المجتمع، فهذا الأخير هو من ينتج شروط الجنون والمعاناة والإكراه.

فمثلا: نجد في رواية (أهل البياض) شخصية المجنون (ليشير) الذي اختار الهروب من الواقع نحو الخيال والوهم قصد نسيان حدة المعاناة والأسى الناتج عن الإقصاء والتهميش الاجتماعي والحرمان وعدم الاعتراف بوجوده والظلم والقهر... إلخ، فلقد كان لبروز ظروف الحرمان وتبعثر منظومة القيم ومعايير التهميش الاجتماعي مؤشرات عن ولادة ظاهرة الجنون لدى المهمشين.

إذ أننا نجد شخصية (ليشير) غير منضبطة في المجتمع وضحية لتحولات معقدة وعنيفة وغير مسيطر عليها، وغير متوقعة تاركة بصماتها في ذاتيته الإنسانية. فالحالةالاضطرابية التي يعاني منها (ليشير) جعلته غائبا عن الوجود فلقد اختار الجنون كرد مرضي على المعاناة الناتجة عن الإقصاء الاجتماعي والأكيد أن الجنون نتيجة عن علاقة غير طبيعية بين الفرد والمجتمع تحت تأثيرات التوترات العنيفة والحادة

" صاحبنا هذا الساكت غائب عن الوجود... على غرار جميع أمثاله فاقدي كل إحساس؟ مبوقين كلهم. ولكن تبويقة هذا الساكت وحدها شف عينيه... جميع أمارات الخطر على وجهه، خليه كما هو، واصبر، ابق معانا الله يخليك"[1]

[1] – أهل البياض، ص 36.

إن حالة القلق التي يعاني منها (لبشبر) أثرت سلبا عليه ليصبح بذلك ذات حالة ميزتها القهر والانحطاط والهروب من الواقع والغياب عن الوجود. فالجنون حالة مرضية ناتجة لمعطيات وأسباب قبلية تتمثل في عدم قدرة الإنسان العاقل المهمش التكيف معها، أي بعدما همشه المجتمع الذي يدعي الكمال والتعلق ويمتلك السلطة والنفوذ دخل في دائرة الجنون كرد فعلي لهذا الإقصاء والتهميش ومن ثم كل أسلوب ولفظ يصدر منه هو وسيلة ولغة مضادة ينتهجها لرد على السلطة والمجتمع العاقل. فشخصية (ليشير) بقيت بمواقفها الرافضة للواقع المتدني والسيئ في ركنين أساسيين من حياته هما: الماضي المرتبط بحياته قبل أن يدخل إلى عالم الجنون، وما يمثل الماضي من صفاء ونقاء " يقولون كنت معلما ... كالا؟ في مدرستي، كنت المحبوب جدا ... أحسن معلم [...] سبحت أكثر من مرة في بحيرات خضراء لم تطأها قبلي قدم"[1]

فلما يستحضر (ليشير) ما مضى من حياته أو يظن ذاك هو ماضيه يشعر بالسعادة والمتعة واللذة، إنه عالمه الخاص الوهمي الذي صنعه لنفسه ولا علم لأمثاله من المهمشين عن سر هذا العالم الذي يخفيه. أما الركن الثاني من حياته، فهو ذاك الحاضر المرتبط بالواقع والحي الشعبي وما يمثله من معاناة وظلم وقهر.

فليشير شخصية متمردة على الواقع الاجتماعي مكبل بثقافة الحاضر التي تتناقض مع ما يحلم به من قيم وأحلام سائدة في عالمه الخاص. بالإضافة إلى إعادة النظر إلى علاقته مع الآخر والهوية، فلقد اتخذ الجنون كأداة للتعبير والبوح وإعادة قراءة الذات والواقع، فالجنون بالنسبة لليشير يتم بلحظة تمرد وقطيعة مع الوجود.

وفي لحظة ما شعر (ليشير) باضطراب علاقته بالواقع وأحس بتخلخل هذه العلاقة فأصبحت المساءلة الذاتية تهيمن على كيانه، مما أدخله في دوامة الحيرة وجحيم القلق والاضطراب النفسي، ومن ثمة الشك في كل يقينيات ذاته، وجوده وهويته. وهذا ما جعله يتهرب من العالم الواقعي إلى العالم الوهمي اللاوعي الذي ينشده.

[1] – أهل البياض، ص 270.

فالمجنون (ليشير) اتخذ عالما خاصا به يخلو من المادة والأمور الدنيوية "أي من كل ما يستتبع أو يسبق إنجاز الشاف من مناقشات مع عمال تفتح باب المساومات، ومن مطالبة بالعلاوات والإضافات. ليشير آلة شغل جهنمية لا تحتاج لمقابلة أو مقابل، لا إلى راحة أو وقود، ولا يعتريها العطل ... غريب في كل شيء، وغيابه كل هذه المدة أغرب..."[1]

يتضح لنا مما سبق أن (ليشير) هي شخصية غريبة الأطوار فهو يعمل دون توقف، دون أن يشعر بالتعب، كما أنه لا يطلب مقابلا عن عمله الذي يقوم به ولا يبحث عن زيادة في الأجر، أي أنه لا يهمه شيء ولا يبالي بشيء مما جعل نظرة الناس إليه نظرة ازدراء واحتقار لا أكثر. فالكل يتعجب من تصرفاته وعدم مبالاته بما يدور حوله، فهو لا يعرف أحد ولا يخضع لسلطة أي كان، فهو بلا هوية، لذلك اتخذ من الوحدة والعزلة عالمه وأحدث قطيعة مع العالم الواقعي الذي همشه واستغله وكان سببا في وصوله إلى حالة يرثى لها، باعتبار أن المجتمع لا يرحم الفئات المهمشة، بل يقوم بعزلها وإقصائها وإلغاء دورها في المجتمع. وسرعان ما يجد الإنسان المهمش نفسه في عزلة ووحدة في العالم الواقعي الكئيب لكن يخلق عالما خاصا به، إذ يرى فيه انتعاش الحياة بعيدا عن اضطرابات وتفاقم مشاكل المجتمع، فالهروب من الواقع القذر والدنيء عن طريق ادعاء الجنون هو حالة لانكسار مسار الواقع ومركز الانطلاق في عوالم غرائبية وهذا يظهر أكثر في هذا المقطع.

"يقولها عابرا منتبها إلى حال ليشير ... حال منكفئ على نفسه منكمش يود لو يخترق أو تحظنه الجدران في داخلها، متلاصق الأطراف يرتعش كل ... وعي ليشير أو لا وعيه، وكأنها هي فجأة فكاك قيد كان يشلل لديه إرادة الحركة، لينطلق دفعة واحدة دون كلمة، مطلقا ساقيه لريح مبتعدا عن العالم"[2] يشعر (ليشير) بالوحدة والعزلة والكآبة بين أهل الحي، فيبدوا بحالة جلوس قرفصائية، منكمش على حاله، ضاقت به الحياة، حالة يأس وملل، لكن بعد هنيهة يطلق العنان

[1] – أهل البياض، ص 270.

[2] – المصدر نفسه، ص 293.

دفعة واحدة باتجاه عالمه الخاص الذي ينشئه لذاته، حيث يرى الحياة بألوان متعددة بعد أن كان يراها بلون حيادي هو الأبيض، فادعاءه بالجنون ما هو إلا هروب من الواقع.

فالجنون هو "الاضطرابات العقلية الشديدة التي تضطرب فيها علاقة المريض مع الواقع".[1] فالجنون حالة خاصة من الحالات التي تعتري العقل. يمتلك القدرة على فتح مجالات للحرية دون سلاسل وقيود وكأن الجنون في ذلك يمتلك عقلا لكنه حر. إنها حرية لتأسيس جديد بعيدا عن الحقيقة المؤلمة.

يتميز المجتمع بالقسوة على الإنسان الضعيف، حيث ركنه في زاوية المنبوذين، مما جعل الإنسان يتجه نحو الجنون كوسيلة مرضية للرد على الإقصاء والتهميش والاستبعاد الاجتماعي. فالمهمش المجنون يتخذ الجنون كأداة وشكل من أشكال الرفض ضد سلطة التعسف والقهر والظلم الذي يمارسه عليه. وهذا ما آل إليه المجتمع المغربي إزاء الهيمنة والسلطة المستبدة التي تمارس ضد الشعب المغربي وهو ما دفع بالروائي (مبارك ربيع) لتخصيص مساحة من روايته (أهل البياض) ليكشف عن مكمن انتشار هذه الظاهرة في المجتمع المغربي.

نلخص كل ما قلناه في المخطط التالي:

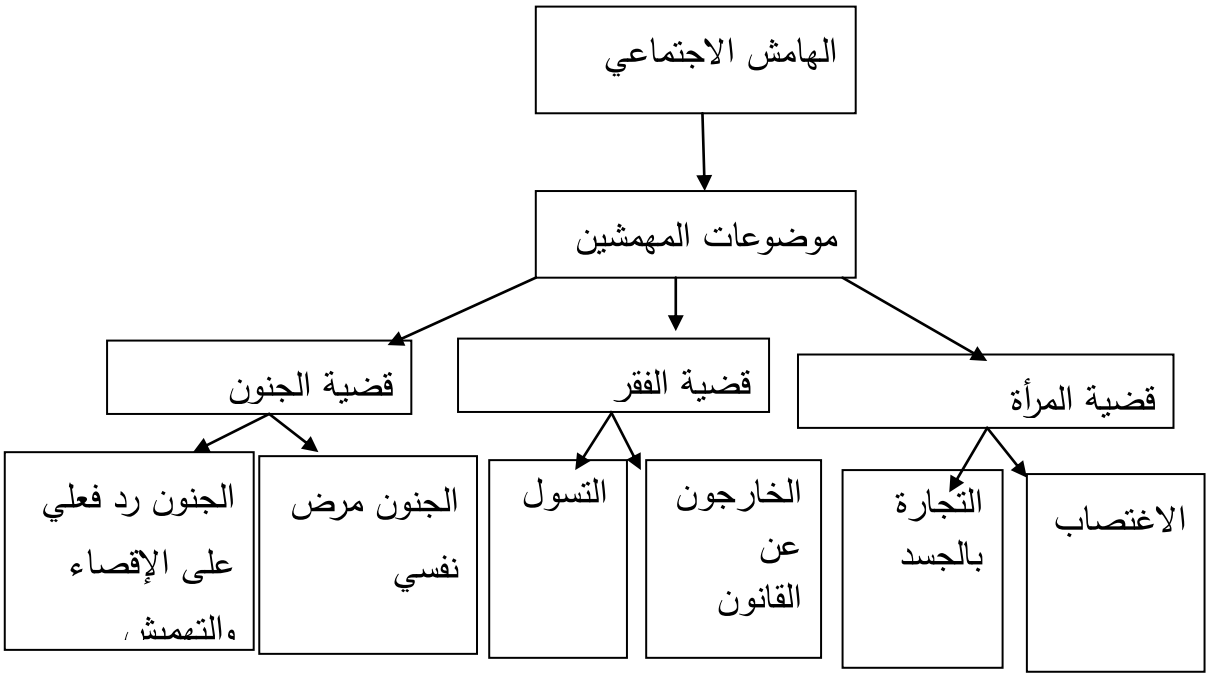

[1] – لطفي الشربيي، معجم المصطلحات الطب النفسي، ص 148.

لقد اقترب الروائي (مبارك ربيع) من مواكبة حياة الطبقات الاجتماعية المهمشة في المجتمع المغربي، فلقد أشار إلى ما تمارسه السلطة من اختناق للهامش حتى يكون في خدمتها. فالمهمشون ضحايا الإقصاء والتهميش الاجتماعي. ولقد حاول الروائي رسم صورة واضحة للمشاهد الاجتماعية بما فيها كل من إقصاء الأفراد والجماعات من أي اندماج في الحياة بسبب وضعهم المادي أو ممارستهم المختلفة. حيث يقف الروائي (مبارك ربيع) إزاء أهم موضوعاتها المتمثلة في قضية المرأة والتي تتمحور حول هيمنة ومعاملة السلطة الذكورية معها.

مثلا: الاغتصاب الذي يمارس عليها وهي قاصر ثم ينتقل الروائي إلى قضية الفقر وهي أخطر آفة على المهمشين، فهو بمثابة إرهاب يدفع بالأفراد إلى ممارسة مهن مشبوهة، بما فيها الخروج عن القانون والتسول والمتاجرة بالجسد، بالإضافة إلى قضية الجنون الذي يخلقه الفرد المهمش كعالم بديل ينزوي فيه لاستعادة الماضي، فيتشكل للشخصية بعدان أحدهما مرتبط بالواقع الهامشي والآخر بالنشاط العقلي والنفسي على مستوى الذاكرة والحلم. وكل هذا يتضح من خلال اللغة التي تعد منبع الكشف عن الواقع وما يحمله بما فيه المضمر والمسكوت عنه.

ونختم فصلنا هذا بالقول أن مستويات اللغة في رواية (أهل البياض) كانت متعددة باعتبار أن الرواية تحاول كشف المضمر والمسكوت عنه. فهي تعالج موضوعات المهمشين كموضوع المرأة وما تعانيه في ظل هيمنة وسلطة الرجل وكذلك موضوع الفقر وما يمكن أن ينتجه من انحراف وإجرام. كما عالجت الرواية موضوع الجنون والهروب من الواقع.

فرواية (أهل البياض) حاولت أن تضيء البقاع المظلمة داخل شخصياتها، وفضح المستور ومواجهة القارئ بحقيقة مؤلمة، حيث حاول الروائي (مبارك ربيع)أن ينقل لنا الواقع المغربي ويفضح المستور والمسكوت عنه، وكل هذا عن طريق اللغة. فالرواية جمعت بين اللغة الفصحى والعامية. إذ أحسن الروائي (مبارك ربيع) أن يدخل اللغة العامية بين طيات الفصحى، واللغة مرآة شفافة تعكس الواقع وتشخصه.

الفصل الثّانـي:

علاقة الشخصية و المكان بلغة الهامش في عالم رواية أهل االبياض.

- **أولا :الشخصية المهمشة**
- **ثانيا :الأمكنة المهمشلة**
- **ثالثا :علاقة الشخصية المهمشة بالمكان**

يعج الخطاب الروائي بمجموعة من الشخصيات والأمكنة التي تمارس فيها فعل الحدث، فهما يتلازمان إذ بذكر أحدهما يستوجب ذكر الثاني، ولما نتحدث عن أمكنة المهمشين نلفت النظر إلى أنها متعددة وتشكل ثنائية التقاطب مع أمكنة أصحاب السلطة (سلطة المركز)، فتتعدد أمكنة التهميش يحددها سبب ونوع الإقصاء والتهميش الذي يمارسه المركز ضد هؤلاء المهمشين.

إذ يعيشون في أمكنة مسحوقة ومهمشة ومحرومة من قبل السلطة، حيث تظهر الشخصيات المهمشة بمثابة الروح العدمية في الواقع، ولكن بمجرد تجسيدها في الخطاب الروائي ككيان موجود بمثابة نص مكتوب يرفض/ يدحض هذه العدمية وذلك لتجسيد الصراع من أجل البقاء وإثبات الوجود ومحاولة التفوق على المركز، فمهما بلغت الشخصيات من خفوتها وضعفها، هناك وراءها صوت صارخ يدعو إلى كل القيم الإيجابية.

إن المكان بمثابة وسط حيوي تتجسم من خلاله حركة الشخصيات، فوجود الشخصيات لا يتحقق إلا من خلال المكان، فازدادت العلاقة بينهما واتسعت مداركها وإحساساتها من حول المكان، وعليه لا يتحقق وجود الحدث الروائي إلا بارتباطه بمكان ما، فالمكان بمثابة وعاء الروائي يحتضن كل مكونات الخطاب الروائي حتى ولو بلغ حد التخيل ليحلق بعيدا ليكشف عور المضمر، وبذلك تتضح الرؤيا والأفكار لدى المتلقي، وذلك عن طريق اللغة التي تجسد وتشخص ما في الواقع.

أولا: الشخصية المهمشة:

العالم الروائي عالم يعج بالشخصيات الروائية المختلفة، وهي الركيزة الأساسية التي يبنى عليها أي عمل روائي، وعليه قدم لها الخطاب الروائي كثيرا من الاهتمام والدراسة، على اعتبار أن الرواية لها القدرة على تصوير الشخصيات، والنفاذ في دواخلها وكشف عوالمها، لقد حظي مبحث الشخصية بأبحاث النقاد الغربيين والعرب على السواء. نظرا لأننا لا يمكننا أن "نتصور قصة بل أعمال، كمال لا نتصور أعمال بل شخصيات".[1]

[1] – تشومة صادق، طرائق تحليل القصة، دار الجنوب للنشر، تونس : 96 دت،دط، دت. ص 96.

فالشخصية بهذا المفهوم ليست لفظة مبعثرة على مساحة الخطاب الروائي إنما هي فاعل لصنع الأحداث وتكوين البنية السردية، ومن بين الشخصيات التي ركز عليها الخطاب الروائي خاصة في الآونة الأخيرة نجد الشخصية المهمشة إذ نجدها تمثل دور المركزية في الأعمال الأدبية وبذلك يكون الأدب مرآة جلية لهذه الشخصيات وذلك من خلال رصدها وإعطائها دور المركزية، ونقصد بالشخصية المهمشة الشخصية الخارجة عن الإجماع العام للمجتمع كشخصية المثقف والفقير والمجنون وغيرها من الشخصيات

فهي شخصية فاقدة لكل قدرة تعيش حالة من الإحباط واليأس نتيجة لأوضاع اجتماعية وسياسية واقتصادية سلبت منها كل قدرة على التكيف والتأقلم والصعود، كما تبنى هذه الشخصيات نتيجة التهميش الذي تعاني منه معجما لغويا خاصا بها، فالشخصية المهمشة هي شخصية بائسة، مشوهة، شبه معدمة تقدم نمطا مغايرا للتموقع في مجتمع ارتبط اسمه بالثراء والروح والمحافظة وتعتبر رواية أهل البياض لمبارك ربيع من بين الروايات التي تناولت حياة المهمشين وجعلت من الشخصية المهمشة عنصرا أساسيا في الرواية حيث أنها حاولت أن تضيء البقاع المظلمة في داخل شخصياتها وتفضح المستور ومواجهة القارئ بحقيقة مؤلمة.

تنقسم الشخصيات المهمشة في الروايتين إلى صنفين بارزين: الفئة المثقفة والفئة البسيطة التي ستقوم بدارستها في هذا المبحث.

1- الشخصية المهمشة: الفئة المثقفة في رواية (أهل البياض):

مفهوم المثقف: لقد تعددت تعريفات المثقف وتباينت تبعا لتباين الرؤى السياسية والإيديولوجية والمعرفية ؛ وفضلنا انتقاء بعض التعريفات البسيطة للمثقف بصفته منتج الثقافة ومحصلها؛ فيعرفه (أحمد مجدي حجازي) بقوله:" هو ذلك الإنسان الواعي والملتزم بقضايا أمته؛ ولذلك لا يعتبر المثقف مثقفا حقا؛ إلا إذا أقترب من روح عصره؛ ومن هموم طبقته؛ وثقافة مجتمعه"[1] فالمثقف إذن هو ذلك الإنسان الذي يتمتع بمؤهلات فكرية؛ كذلك القدرة على الجهر بآراءه مهما كانت عواقب ذلك فالمثقف هو: " إنسان على مستوى من العلم والمعرفة؛ يأمل في

[1] – الطاهر لبيب وآخرون دت، الثقافة والمثقف في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية : 2002، ط2. ص 81.

مستقبل أفضل لأمته؛ وأبناء جنسه من الإنسانية جمعاء"[1] فبهذا المفهوم فإن المثقف هو الذي يخدم المجتمع الذي يعيش فيه بعلمه باعتبار أنه يتمتع بموهبة خاصة؛ تمكنه من حمل رسالة ما إلى أبناء أمته. فإن الشخصية المثقفة المهمشة هي تلك الشخصية التي تتميز بقدر عال من الثقافة والعلم؛ إلا أنها تعاني الإقصاء والتهميش بسبب الظروف الاقتصادية؛ والاجتماعية والسياسية المزرية. يقدم لنا (مبارك ربيع) في روايته (أهل البياض) شخصيته (لبصير) كنموذج للمثقف المهمش فهو صوت بل صدى؛ فشخصيته لبصير استسلمت منذ البداية واختارت العزلة والإنفراد للاهتمام بشؤونها.

خاصة أنه يعاني الفقر والأوضاع المزرية(فلبصير) ورغم ثقافته وعلمه الواسع في مختلف مجالات الحياة إلا أنه يعاني الإقصاء والاستبعاد والتهميش من طرف المجتمع، (فلبصير) يعيش على هامش الحياة؛ إذ أنه يقضي معظم وقته مع صديقه (محجوب) أمام دكانه للهروب من الواقع المرير؛ فيتبادلان أطراف الحديث في مجالات مختلفة؛ (فمحجوب) يحاول الاستفادة من ثقافة (لبصير) المثقف والمهمش في آن واحد حيث أن (لبصير) لا يستطيع الإفصاح عن أفكاره لأصحاب السلطة والمال والمركز باعتبار أن هذه الطبقات لا تعترف بثقافته؛ ولا تأبه لنصائحه التي قد يستفيدون منها لأن نصائحه قد تشكل خطرا على مركزيتهم وعلى سلطتهم؛ لذلك استبعد من المجتمع وهمش وألقى دوره في المجتمع كمثقف باعتبار أنه لا ينتمي إلى الطبقات الغنية ذات السلطة والنفوذ في المجتمع المغربي. إن شخصية المثقف (لبصير) هو نموذج للمثقف الواعي؛ المحب للمطالعة؛ فهو مطلع على الفكر العربي ومتحمس للحياة والإبداع والإصلاح كما أن (لبصير) شخصية مطلعة على التراث العربي؛ وعلى الدين الإسلامي؛ إذ نجده يتحدث عن حياة خير البشرية" الرسول صلى الله عليه وسلم " ويتجلى ذلك في المقطع التالي:" يستشعر الفقيه لبصير مضاعفة أضعافا قوة النبض وعمق الحلق ومدى الصوت؛ يستشعر السيرة الممجدة بما يسرى في عروقه. .... يستشعر الجمهرة المتحلقة حوله؛ مفتحة الحواس ستجلب الرحمة والعفو والطهران؛ يستشعرهاأرواحا معلقة بنطقه ومنطقه (...) تتكامل العظات والعبر عن سيرة خير

[1] – محمد سعيدي، المثقف والسلطة والحراك الاجتماعي في الوطن العربي" جامعة الجزائر، مجلة الحياة الثقافية، العدد 248، تونس : فيفري 2014، ص 28.

البشرية؛ ونشأة النبوة المحمدية؛ ممتحنا منذ يفاعته برز اليتيم وفقدان السند؛ فرعى الغنم واختلى بالجبل؛ متدبرا متأمل في بدائع خلق وإبداع خالق مسير بصفاء فطرة وسريرة؛ ملتزما سلوك زهد وقناعة منتهجا سبل عفه وعفافا حتى سمي الأمين".[1]

من خلال المقطع يتضح لنا أن (لبصير) الفقيه المثقف يتحدث عن حياة الرسول وعن السيرة النبوية؛ وعن نشأة "الرسول صلى الله عليه وسلم "حيث أنه عاش فقيرا يتيما؛ كما نجده يتحدث على الظلم الذي كان يتلقاه الرسول صلى الله عليه وسلم " من طرف قومه وصبره على ذلك؛ فيظهر لنا من خلال هذا المقطع أن (لبصير) شخصية مطلعة على الدين الإسلامي ولكنه رغم هذا المخزون الفكري الذي يتمتع به إلا أنه يعاني الإقصاء؛ والتهميش من طرف المجتمع لأنه ينتمي إلى طبقة الفقراء وهي الطبقة الدونية في المجتمع بالنسبة لأصحاب المال والسلطة والنفوذ.

كما أن (لبصير) أو الفقيه (لبصير) شخصية تحب مطالعة الكتب للتزود بالعلم والمعرفة والثقافة فهو مطلع على حياة الأجداد والأسلاف والصالحين؛ كما أنه مطلع على مختلف العلوم التي نبغوا فيها في مختلف المجالات؛ ويحاول أن يلقى هذه المعلومات والمعرفة على صديقه (محجوب) لينتفع منها باعتبار أن أصحاب المال والجاه لا ينصتون إلى أحاديثه لأنه شخصية لا ترقى إلى هؤلاء ويظهر ذلك فيما يلي" تتلاشى حماسة الصديقين وحميميتهما برغم غياب الكثير من معاني الكلام عن محجوب؛ فعلى صديقه الفقيه أكثر من واضحة في هذا الباب .....آه السلف الصالح؛ جدودنا يا أمي كانوا رجال عاشوا الحياة بالطول والعرض؛ تحروا في العلوم؛ سخروا في البحر ....وكادوا....فعلوا؛ وكادوا يطيرون في الجو قبل العجم كلها يقرون....جمعوا كل شيء من علوم الدنيا والدين (...).[2]

من خلال هذا المقطع يتضح لنا أن شخصية (لبصير) مطلعة على حياة الأسلاف والسابقين حيث إنهم نبغوا في مختلف المجالات من علوم الدنيا والدين(فلبصير) شخصية مثقفة تهوى المطالعة والمعرفة؛ والعلم ولكنه لا يستطيع البوح بهذا الكم الهائل من الثقافة سوى لصديقه (محجوب) باعتبار أن (لبصير) شخصية مهمشة فإن آراءه وأفكاره لا تهم أفراد المجتمع ولا تليها

[1] – مبارك ربيع، أهل البياض، ص 52.

[2] – المصدر نفسه، ص 231، 232.

أي اهتمام لأن صاحب هذه الأفكار والمعارف شخصية همشها المجتمع وجعلها تعيش على هامش الحياة؛ حيث أن (لبصير) رغم علمه وثقافته الواسعة إلا أنه يعاني الفقر والقهر والظلم من طرف المجتمع كما أن الظروف الاجتماعية القاسية دفعته إلى ممارسة التسول وذلك من أجل إعالة أهله ؛ وهذا دليل على أن المجتمع المغربي يقضي ويهمش المثقف بأبشع الطرق ويتجلى ذلك من خلال المقطع التالي:" حقا في أسوء حال منذ تركته السوالة؛ كذلك سماها لكثرة ما طرحت عليه من أسئلة قبل أن تتسلم يده؛ وتقبل أن تكون مرافقته ودليلته في التسول.... لابد من بعض السرعة وإنهاء جولته وقت الذروة المناسبة؛ وقبل جولة آخرين منافسين في الساحة (....)".[1]

إن هذا المقطع يدل على أن (لبصير) يمارس مهنة التسول رغم أن حالته لا تسمح بذلك فهو شخص كبير في السن ، فلقد كان يتسول مع طفلة سماها (سوالة) وسماها كذلك لأنها كانت تطرح عليه الكثير من الأسئلة. إن لبصير دفعته الظروف المزرية التي يعيشها إلى التسول وهذا ما جعل المجتمع ينظر إليه نظرة دونية فمارس عليه القهر والظلم والتهميش وألغى دوره كمثقف في المجتمع . إن حادثة اغتصاب إبنة (لبصير) جعلته يتقوقع على نفسه ويفقد الثقة بمن حوله ليتحول من مثقف فاعل يقدم النصائح لأبناء أمته بلغة فصيحة ذات مستوى عال إلى مثقف سلبي فخمدت همته؛ وانتحر صوته الذي تحول من صوت المجتمع إلى صوت ذاتي يعبر عن هواجسه وخواطره؛ حتى أن اللغة التي أصبح يعبر بها عن آلامه هي لغة غير لائقة بمقامه ومستواه الفكري؛ فبعد اغتصاب ابنة (لبصير) المثقف قرر الرحيل من الحي الشعبي الذي كان يسكن فيه إذ أضحى شخصية معزولة عن الناس والمجتمع فلقد أصبح (لبصير) غير راض عن مجتمعه؛ واصوله؛ وواقعه المرير ليعلن القطيعة مع العالم الخارجي.

ويتجلى ذلك من خلال المقطع التالي" محيجب لابد أن يلقى الجزاء؛ أي جزاء؟ وعبد الله لبصير؛لأحد له يقتله؛ وهل جزاء مثل هذا إلا السحل والقتل والتشييع؟ وهل يشفى ذلك غليل؟ ما وقع وقع....كيف إذن يرتوي غليل وغضب وحقد وغيظ؟ أي فعل يشفي غليل...حتى القتل والسحل يبدوان دون فعله كهذه....لمن ومع من؟ محجوب طيبته لم تعرف بعد من الدنيا حلوا ولا مرا...ولا

[1] – أهل البياض، ص 48.

إنما....قل أذاقها الكلب مرارة الدنيا جرعته واحدة وليتها قاتلة....ومن هي؟ (...) لماذا لم يقتلها الكلب الدنيء قط".[1]

إنّ حادثة اغتصاب إبنة (لبصير) هي التي دمرت نفسية لبصير فتمنى لو أنه ينتقل إلى عالم آخر أكثر سلاما وأمانا؛ حيث جعلته يصاب بإحباط رهيب وفقد الثقة في الناس جميعا فانطوى على نفسه بعيدا عن المجتمع الذي همشه رغم قدراته الفكرية والثقافية العالية؛ إن كل ما يحيط بشخصية لبصير المثقف والمهمش دفعه إلى الانعزال والانطواء فهو يمثل شخصية المثقف والمهمش الذي اعتزل الناس بعد خيانة صديقه له الذي قام باغتصاب ابنته؛ وخيانة المجتمع له الذي لم يعترف يوما بمستواه العلمي والفكري بل العكس حيث أنه قام بإقصائه وإلغاء دوره كمثقف، إذ سلب منه دوره الفعال باعتبار أنه ينتمي إلى طبقة الفقراء؛ والمهمشين الذين لا صوت لهم في المجتمع فقد استطاع الروائي(مبارك ربيع) أن ينقل لنا واقع الشخصية المغربية المثقفة والمهمشة والمغيبة من طرف المجتمع وذلك عن طريق اللغة؛ باعتبار أن اللغة وسيلة لتصوير الواقع بكل تفاصيله؛ فشخصية (لبصير) في رواية (أهل البياض) رغم المستوى العلمي الذي تمتع به إلا أن لفته في بعض الأحيان هي لغة المهمشين وهذا بسبب الظروف الاجتماعية القاسية التي يعاني منها فهي التي دفعته إلى التحول من شخصية مثقفة فعالة وايجابية في المجتمع رغم التهميش والإقصاء إلى شخصية سلبية وذاتية بسبب الظلم والقهر والمعاناة(فلبصير) هو مثقف مهمش انسحب من الحياة؛ وصار منطويا على ذاته؛ حيث أن شخصية (لبصير) من خلال الرواية تعكس صورة المثقف المهمش في المجتمع المغربي والذي استبعد فيها من طرف أصحاب السلطة والنفوذ.

لقد وصف لنا (مبارك ربيع) في روايته واقعا يتميز بالظلم الاجتماعي؛ والقهر السياسي للمثقف؛ وذلك من أجل أن يبين الموقف من السقوط والتراجع والانكسار؛ إذ أصبح المثقف في المجتمع المغربي مثقفا مهمشا انسحب من الحياة وصار منطويا على ذاته؛ وأصبح عاجزا بسبب استبداد السلطة ليتحول إلى شخصية انهزامية ذات رؤى فجائعية بسبب التهميش المفروض عليها.

[1] – أهل البياض، ص 287، 288.

2- الشخصية المهمشة "الفئة البسيطة" في رواية (أهل البياض).

مفهوم الشخصية المهمشة البسيطة:

يقصد بها تلك الشخصية التي تزاول حياتها بطريقة عادية؛ وروتينية أو تلك الفئة المستغضلة والمقهورة من قبل السلطات الحاكمة أو من طرف أصحاب المال (الأغنياء) والملاحظ على هذه الفئة أنها تعيش على هامش الحياة؛ وغالبا ما تنعت بالذل والهوان وتطلق عليها ألقابا دونية مثل: " المجانين؛ الحمقى؛ الأغبياء؛ المتطفلين. لقد ركز الروائي(مبارك ربيع) في روايته على بعض الشخصيات التي همشها المجتمع واستبعدها؛ فكانت المحرك الأساسي للرواية متفاعلة مع كل الأحداث ومتواجدة في كل مكان؛ هذه الشخصيات تعيش على هامش الحياة بالنسبة للمجتمع وأصحاب السلطة والنفوذ؛ فكل شخصية من هذه الشخصيات المهمشة لها قصة خاصة بها؛ وكل شخصية تعكس صورة من الواقع المغربي.

ا-شخصية فايزة:

إن (فايزة) هي الشخصية المهمشة المتشردة في الشوارع؛ التي فرض عليها التعسف والظلم والتشرد والضياع؛ فايزة هي شخصية مهمشة وقعت ضحية واقع اجتماعي قاس مما أفضى بها إلى عدم الشعور بالذات. فالفتاة(فايزة) ذاقت المرارة والمعاناة منذ أن كانت صغيرة فلقد حرمت من الأمومة؛ كما أن ظروف الحياة دفعتها إلى العمل والتجول في الشوارع من أجل إعالة والدها(لبصير) الكفيف فلقد استطاع الروائي(مبارك لبصير) أن يصور لنا حياة شخصية (فايزة) بكل تفاصيلها وذلك عن طريق اللغة التي تعتبر وسيلة لنقل واقع الشخصية المهمشة باعتبار أن الشخصية الروائية هي معادل فني موضوعي للشخصية الواقعية؛ فالفتاة (فايزة) تعكس في الرواية صورة الفتاة المهمشة التي حرمت من طفولتها ويتجلى ذلك في المقطع التالي : " فايزة لاباس؛ لابأس يهون عليها...فتاة صغيرة؛ حرمت من اللعب وان يذكر الحرمان من الأمومة؛ لكنه يستدرك مؤكدا براءة الفتاة؛ وهي تقضي يومها ساعية وراء الكسب ؛ وبفضلها استراح من عناء كبير" يتضح لنا من خلال هذا المقطع مقدار المعاناة التي تتحملها شخصية فايزة المهمشة هي شخصية تعاني حالة من الانفصال والتمزق والإحباط فحادثة اغتصابها أفضت بها حالة من الضياع لتواجه المعاناة؛ فرغم الفقر والتهميش والخروج كل يوم إلى الشارع (المكان المفتوح) الذي يمثل لها

مصدرا للسعادة والطمأنينة وكسب قوتها اليومي وذلك بإقناع الناس من أجل شراء السلع التي تعرضها ولكن الاغتصاب الذي تعرضت له حولها من شخصية مطمئنة إلى شخصية محبطة تعاني التهميش والإقصاء.

فلقد تحولت من شخصية ناطقة رغم أن لغتها مهمشة باعتبار أنها شخصية مهمشة بسبب الظروف الاجتماعية إلى شخصية ذاتية منعزلة، حيث قطعت علاقاتها بالعالم الخارجي فأصبحت منعزلة في غرفة متكورة حول نفسها، وأصبحت تعاني الإحباط واليأس، ذات نفسية حزينة وكئيبة غير قادرة على التعبير على مشاعرها بسبب الصدمة والعنف الذي تعرضت له والظلم والقهر بالإضافة إلى التهميش والإقصاء ولوم المجتمع لها، وأنها السبب لأنها كانت تتجول في الشوارع وتقبل الزبائن من أجل استمالتهم لشراء سلعها التي كانت تعرضها ويتجلى ذلك في المقطع التالي: "تلج الغرفة بعد إظهار جهد مبالغ فيه، تظهر حولها ... الصبية فايزة متكورة على نفسها في ركن، والنسوة يملئن الفضاء".[1]

إن حادثة اغتصاب (فايزة) وضعها تحت محك الصمت الذي غلق عليها حياتها وجعل منها شخصية لا تسمع ولا ترى حيث أنها أصبحت مغيبة تماما من طرف المجتمع واعتبرها مذنبة، فتصرفاتها هي التي سببت لها الأذى، حيث أنها كانت تقبل الزبائن من أجل استمالتهم لشراء سلعها ويتجلى ذلك في المقطع التالي: " لا ننسى كذلك أننا تجاوزنا اعتبار أنها (ابنتنا فايزة) تقبل وتعانق في الشارع من تشاء ولا تشاء [...] تتصور بالعناق والقبل ت... تبيع في الشارع قبلاتها الشيطانية متوسلة ببضاعة ما".[2]

يدل هذا المقطع على الإقصاء والتهميش الذي يمارسه أصحاب السلطة والقانون على الفئة المنبوذة، والمقهورة، والمسحوقة في المجتمع بسبب الظروف الاجتماعية المزرية مثل الفتاة (فايزة) التي كانت تحاول إقناع الناس في الشوارع لشراء سلعها البسيطة لا لشيء ولكن من أجل الحصول على قوتها اليومي وإعالة والدها الكفيف ويظهر ذلك في المقطع التالي: " الخطاب موجه للبصير، يؤكد للاتزان والتغفل والتروي وسعة النظر [...] فمن جهة هناك محجوب، ولو أنه في نظر

[1] – أهل البياض، ص 311.

[2] – المصدر نفسه، ص 388.

المسؤولين والقانون والشريعة مجرد مسمى على ورق، كغيره من بني آدم المفترضين، ومن جهة أخرى البنت فايزة التي يجب أن تلام إلى حد ما وبدون مبالغة على ما جرى، بل أن يلام والدها أيضا إلى حد ما.مثل ذلك لا دليل على شيء، الملف فارغ، فارغ".[1]

يظهر لنا من خلال هذا المقطع أن شخصية فايزة اعتبرت في نظر القانون مذنبة، فلا دليل على أن (محجوب) هو من اغتصبها رغم أنه مارس عليها الظلم والقهر والعنف وأن المجرم غير معروف فمحجوب هو مجرد مسمى على ورق فلا أحد يدري من قام باغتصابها بما أنها كانت تتسول في الشوارع فلا توجد أية أدلة، فالملف فارغ وهذا دليل على أن السلطة لا تحمي الشخص المهمش بل العكس فإنها تحمي الذي لديه السلطة.

فسلطة صاحب الدكان أقوى من كرامتة الفتاة وحقها. إن شخصية (فايزة) في رواية (أهل البياض) تعكس صورة الشخصية المهمشة المرفوضة من طرف المجتمع بسبب الفقر، فايزة مورس عليها الظلم والعنف من طرف صاحب الهيمنة حيث أن الفتاة (فايزة) أصبحت منعزلة وعدمية فهي شخصية بائسة انتزعت من عالم البراءة والفرح وقذفت إلى عالم الكبار لتصارع الحياة بين أنياب الظلم والقهر والمعاناة.

ب. شخصية (لبشير):

تمثل شخصية (لبشير) في الرواية شخصية الرجل المجنون الأبله والأحمق الذي يعيش في الحي الشعبي المغربي والذي يثير الحيرة والدهشة في نفوس سكان الحي الذين لا يعرفون شيئا عنه سوى الاسم الذي أطلقوه عليه وهو المجنون (لبشير). (فلبشير) شخصية تعيش بينهم ولكن لا أحد يفهمه، فلقد اعتبر لبشير شخصية مهمشة تعاني العجز الجسدي والاجتماعي باعتبار أن المجنون غير معترف به من طرف المجتمع، كما أن شخصية (لبشير) تعاني الظلم من طرف سلطة المخفر ويتجلى ذلك في المقطع التالي: " أما هذا المغمض العينين في نشدان للنوم والظلام،

[1] – أهل البياض، ص 388.

فأمامه ساعات ليؤوب إلى رشده، لا خطر من حالته ومثيلاتها معروفة. لا بأس من وضعه في الحجز إلى الصبح مادام لا يملك القدرة ليبين أوراقه".[1]

يتبين لنا من خلال هذا المقطع أن (لبشير) غائب عن الوعي وعن الوجود فهو يعاني الإقصاء والتهميش والتعرض للسجن من طرف شرطة المخفر فلقد اعتبر (لبشير) من فئة المنحطين والمتشردين في الطرقات والشوارع فما دام لا يملك أوراقا ثبوتية فإنه سيضعونه في السجن فهو بلا هوية وهذا دليل على الظلم الذي تمارسه السلطة في المجتمع على الفئات المهمشة التي لا حول ولا قوة لها في المجتمع المغربي.

ويظهر ذلك في " يجهد لطمأنة الرجل وتهدئته في مجلسه، بينما هذا لا ينقطع عن تحركه المستمر غير عابئ وكأنه غير شاعر بأثر فعل القيد في معصمه مما يجعل الشرطي المرافق في شبه يأس من جهود التهدئة وما عليه إلا أن يزج بالرجل في السجن.[2]

يتضح لنا من خلال هذا المقطع أن (لبشير) يمثل الشخصية المهمشة المعرضة للقهر والاضطهاد حيث زج به في السجن رغم أنه لا يشعر بشيء وغير عابئ بشيء، فهو لا يشعر حتى بأثر القيد في معصمه.

فالبشير غائب غير واع حتى أنه لا يعرف مكان تواجده فالمهم أن يستعيد الحرية ولكنه لا يستطيع التعبير عن مشاعره فهو يتلفظ بكلمات غير مفهومة وغير واضحة ويظهر ذلك من خلال المقطع التالي: " يبدو الرجل كمن أفاق من إغفاءه واكتشف ما يبحث عنه:

غادي لداري

ودارك فين

داري

[1] – أهل البياض، ص 29.

[2] – المصدر نفسه، ص 53.

ينتبه الرجل، على ملامحه شبه ابتسامة باهتة وحيرة دون جواب، يصيح الشرطي بزميله أن يكف عن إضاعة الوقت مع هؤلاء، فلم يعد أحد يدري ماذا يتناولون حتى يصبحوا في هذه الأحوال".[1]

يظهر لنا من خلال هذا المقطع أن شخصية (لبشير) المجنون المهمش الذي لم ترحمه السلطة والمجتمع حيث أنه يواجه الذل والحرمان فحياته عبارة عن مأساة شخصية (لبشير) تتميز بالإقصاء والتهميش فقد دفعه مرض الجنون إلى العيش على هامش الحياة، فالسلطة تعترف حتى بلغة المهمش حيث دفعت بلغته إلى دائرة التهميش باعتبار أنه مجنون، حيث أنها أفرغت لغة (لبشير) من المعنى، (فلبشير) يعاني مرارة المعاناة حيث أنه يعاني من حالة نفسية قلقة ومضطربة ومتوترة ما دفعه إلى تجاوز الواقع وقطع الصلة به، حيث أنه خلق عالما خاصا به، عالما تتوفر فيه ألوان الحياة، (فلبشير) شخصية غير قادرة على التكيف والتفاعل مع الواقع الذي تعيشه ويتجلى ذلك في المقطع التالي:

" سبحت في أكثر من مرة في بحيرات خضراء لم تطأها قبلي قدم، ولا رآها بشر، قال لي ذلك حارسها الأخضر، وهو يسقيني شرابا من اللون نفسه، قال لي: لولا أنه يعلم أنني محب محبوب لما فتح عيني على هذه البحيرات التي لم تنفتح عليها عيون أحد من الناس لا بل أضاف أنه يعمى أبصارهم حتى لا يروا مثل هذا الاخضرار لينصرفوا إلى ألوانهم البيضاء".[2]

إن لبشير حاول الهروب من الواقع المرير والمأساة والتهميش الذي تغيب عنه ألوان الحياة العالم الذي يسوده البياض إلى عالم يجد فيه تلك الألوان التي فقدها في العالم الواقعي ليتخلص من التهميش والإقصاء والظلم والقهر عالم يشعر فيه بالحرية والأمان، (لبشير) صنع عالمه الخاص ، إذ أنه قطع الصلة بالمجتمع فهو لا يعرف أحدا منهم، ولا يعرف شيئا عنهم فهو غائب عن الوجود. لقد حاول الروائي (مبارك ربيع) من خلال لغة السرد والحوار أن يبين لنا المعاناة والاستبعاد والإقصاء الذي تعاني منه شخصية المجنون (لبشير)، فشخصية (لبشير) تعكس في

[1] – أهل البياض، ص 16.

[2] – المصدر نفسه، ص 270، 271.

رواية (أهل البياض) صورة الشخصية المستلبة والمستبعدة التي همشها المجتمع باعتباره شخصا مجنونا.

ج. شخصية غياتة:

تمثل شخصية (غياتة) في الرواية صورة المرأة المنحرفة التي تمنح جسدها وروحها وكرامتها مقابل الحصول على المال وذلك من أجل مقاومة الفقر والظروف المزرية ولذلك اعتبرها المجتمع آثمة وزانية.

فشخصية (غياتة) دفعتها الظروف الاجتماعية القاسية إلى ممارسة الزنى، إذ اعتبرها المجتمع امرأة عاهرة كما أنها تجمع الحلال مع الحرام. فهي من جهة تمارس الزنى وتمنح جسدها وكرامتها من أجل الحصول على المال ومن جهة تساعد المتشردين ويمكننا ملاحظة ذلك في المقطع التالي:" (غياتة) أكانت لتتستر على حالها؟ من يحترمها وكيف تنظر إلى نفسها في المرآة؟ غياتة هذه صورة لمن يريد ومن لا يريد ... عيروها بأنها تجمع الحرام وتجار به مع الله؟ قصد شراء المغفرة والثواب والله فوق ذلك".[1]

يظهر لنا من خلال هذا المقطع أن (غياتة) شخصية تعاني التهميش والإقصاء والاستبعاد من طرف المجتمع حيث اعتبرها الجميع امرأة غير صالحة، وامرأة منحرفة فهي من جهته تمنح جسدها للرجال مقابل الحصول على المال ومن جهة أخرى تساعد المحتاجين والمعوزين فقال عليها المجتمع أنها تفعل ذلك من أجل كسب الثواب ولكن هدف (غياتة) غير ذلك فهي تريد فقط أن تساعد هؤلاء المتشردين والمهمشين والمنبوذين هؤلاء الذين همشهم المجتمع وجعلهم يعيشون على هامش الحياة، رغم أن شخصية (غياتة) تمثل صورة المرأة المنحرفة إلا أنها جريئة وتحاول دائما مواجهة السلطة الذكورية فهي لا تسمح لأحد أن يأكل حقها.

ويتجلى ذلك في المقطع التالي: " غياتة تلك عالم وحده. لو كان الرجولة أنثى لكانت هي، وهل نرضى رجولة بجانبها".[2] إن غياتة شخصية اتخذت موقفا سلبيا من المجتمع، فلقد كان القلق والسوداوية وعدم الاستقرار وانعدام التوازن من سمات حياتها المضطربة، (فغياتة) فقدت الثقة بمن

[1] – أهل البياض، ص 73.

[2] – المصدر نفسه، ص 166.

حولها واتخذت موقفا عدائيا من السلطة الذكورية، (فغياتة) شخصية تمثل المرأة الجريئة الغير مستسلمة لسلطة الرجل، فالظروف الاجتماعية القاسية والمزرية هي التي دفعتها إلى عالم الدعارة والانحراف ما جعلها تعاني التهميش والإقصاء والاستبعاد من طرف المجتمع، كما أن لغة هذه الشخصية هي لغة بذيئة ومهمشة فالأوضاع الاجتماعية القاسية والتعرض للقهر والظلم جعلها تتلفظ ألفاظا سوقية. ويظهر ذلك في المقطع التالي:" الحمار، البغل...، بدل أن يستر على فضيحته، يسرع فيسجل دعوى اعتداء".[1] يتضح لنا من خلال هذا المقطع ومن خلال رجوعنا إلى معجم ألفاظ الشخصية أن لغة شخصية (غياتة) هي سوقية مستوحاة من الشارع.

فلقد جاءت لغتها مماثلة لدورها، فالتعرض للظلم ومحاولة الدفاع عن حقها ومواجهة سلطة الرجل دفعها إلى التلفظ بألفاظ السب والشتم كردة فعل على القهر والظلم والإقصاء والتهميش. فالواقع المر يدفع بالإنسان المهمش إلى التلفظ بلغة بذيئة سوقية.

تمثل شخصية (غياتة) في الرواية صورة المرأة المنحرفة بسبب الظروف الاجتماعية القاسية والمرأة المتمردة على السلطة الذكورية.

د. شخصية السهلي:

إن السهلي واحد من المهمشين المتمردين على الإقصاء والتهميش، حيث أنه حاول مواجهة أصحاب السلطة ومحاولة مقاومة الإقصاء والتهميش على العكس من الشخصيات الأخرى التي استسلمت لسلطة المركز وبالنظر إلى حياة (السهلي) وتتبع أدواره في الرواية نجده فعلا يمثل الشخصية المتمردة على السلطة والقانون حيث أنه حاول الهجوم على المخفر لأن سلطة المخفر لم تأخذ له حقه من الشرطي (ميمون) الذي قام باختطاف زوجته (راضية):" السهلي تجاوز كل حد، ارتكاب الشغب، تهديد الأمن العام، الاعتداء على موظف أمني أثناء أداء الوظيفة، الهجوم على مخفر أمني بإصرار وتدبير".[2] إن السهلي لم يختر حياة الصعلكة هذه بإرادته ولم يكن يرضاها بل فرضت عليه كرها بسبب الظروف التي وجد نفسه ضحيتها، فالفقر والظلم الذي مورس عليه دفعه إلى التمرد والانحراف ومحاولة مواجهة أصحاب السلطة والقانون باعتبار أنها لا تحمي

[1] – أهل البياض، ص 27.

[2] – المصدر نفسه، ص 197.

الإنسان المهمش، بل تقصيه وتلغي دوره في المجتمع ويظهر ذلك من خلال المقطع التالي: " تدبرت بصعوبة وسيلة تقلني في ذلك الوقت من عشية اليوم، أستطيع أن أؤكد أن نية الشرطي لم تكن سليمة [...] سرقت مني زوجتي، وهذا هو سر وجودي هنا تحت طائلة التحقيق وفي السجن".[1]

إن سلطة المخفر لم تحمي السهلي بل العكس وضعته في الحبس وتحت التحقيق لأنه قام بمهاجمة المخفر واتهام الشرطي (ميمون) واعتبرت السهلي هو المجرم وليس الشرطي وهذا دليل على حماية السلطة لأفرادها وإبعاد المهمشين من دائرتهم إذا ما حاولوا التمرد ومواجهة الهيمنة والظلم، والقهر الذي يمارس عليهم من طرف أصحاب السلطة.

إن السهلي شخصية تعكس صورة الشخصية المهمشة المتمردة على الواقع وعلى سلطة الدولة أي المركز والمحاولة على تجاوز الهيمنة والقهر والظلم المفروض عليها. لقد حاول الروائي (مبارك ربيع) أن يبين معاناة هذه الشخصية في خطابه الروائي من خلال لغة السرد والحوار، حيث أن السهلي اتخذ موقفا سلبيا من السلطة والمركز ما جعله يتحول إلى عالم الإجرام والانحراف والفساد.

ويمكن أن نلخص كل ما قلناه في المخطط التالي:

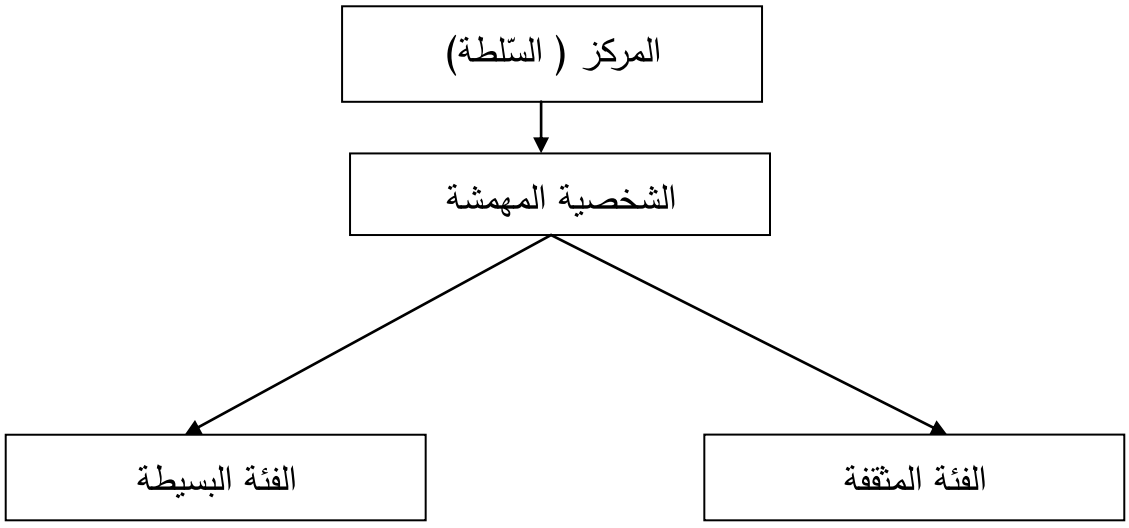

[1] – أهل البياض، ص 193.

مخطط تشكيلي للشخصية المهمشة في رواية "أهل البياض".

لقد حاول الروائي (مبارك ربيع) في روايته ومن خلال شخصياته الناطقة، ولغة السرد والحوار أن ينقل لنا الواقع المغربي بكل امتياز، فرواية أهل البياض تبحث عن المقصي والمهمش والمنسي والمحظور. فلقد حاول الروائي أن يلتفت إلى الشخصيات المهمشة والاغتراب والفقر، والانطواء على النفس فكل شخصية من شخصيات الرواية تعكس صورة من الواقع المغربي، فرواية أهل البياض هي صوت المهمشين.

ثانيا: الأمكنة المهمشة:

يعد المكان عنصرا مهما في بناء الرواية، "لقد حظي المكان بمنزلة كبيرة وعناية فائقة في الإبداع العربي، لاختلاف طريقة تعامل كل مبدع معه، فمنهم من وثقه بدقة شديدة موهما القارئ بواقعية الأحداث، كالمبدعين الكلاسيكيين الذين درسوا الحيز وحددوا معالمه وجعلوه طرفا فاعلا في سير الأحداث، بل حولوه إلى كائن حي يعي ويعقل ويضر وينفع ويسمع وينطق".[1]

يعني أن للمكان دور فعال في الرواية لذلك قام الروائيون بإبراز معالمه الجغرافية بثوب محسوس لتقريب الصورة لدى المتلقي. "والمكان في الرواية يتشكل عن طريق الكلمات مكانا خياليا له مقوماته الخاصة وأبعاده".[2] منه يتضح أن منهل تصوير المكان هو اللغة التي تصفه، إذ تجعل المتلقي يتخيل هذا المكان، أي أنها (الرواية) عكس المسرح أو السينما فإن الإطار المكاني لهما هو إدراكه عن طريق المشاهدة بالعين.

ولهذا تكمن صعوبة بناء المكان في الرواية لأنه تصور على شكل مقاطع لغوية، تصف لنا الأمكنة التي تترجم إلى مكان تخييلي، ولكنه يستمد مقوماته بالموجودات في الحياة الإنسانية، ولا يقتصر المكان على ظهور الشخصيات وجريان الأحداث، بل يكون مشاركا وأحيانا مماثلا في الدلالات التي يريد الخطاب الروائي أن يقولها.

---

[1] – عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية، ص 130.

[2] – سيزا قاسم، بناء الرواية، دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر:1984 ، ط1.ص 74.

يحظى المكان في رواية "أهل البياض) ل (مبارك ربيع) باهتمام كبير حتى يخيل للمتلقي أن الرواية، رواية مكانية بالدرجة الأولى، فلقد احتفى النص الروائي بالمكان.

من عدة أبعاد تكشف لنا أهمية ومدى امتزاجه بعدة مكونات الخطاب الروائي، فالمكان عند (مبارك ربيع) يشكل بوتقة الأشياء المدركة بالحواس والأشياء المدركة بالشعور والإحساس الإنساني، فكان هاجسه فيما يرى البحث ربط المكان بإنسانية الإنسان المهمش التي تشهد تمزقا في هذه الحياة، وما يكابده الإنسان المهمش من فقدان المكان سواء أكان وطنه محتلا أم غير محتل. فالإنسان المهمش يعيش مثل المغترب في وطنه، إنه إنسان ضائع في متاهات الحياة وقساوتها، لقد وقع في بئر الظلام.

فرواية (أهل البياض) تصور الحي بكل ما يحتضنه من قساوة ومأساة وأحزان، حيث وصل الإنسان المهمش إلى درجة أنه كائن يباع ويشترى بسبب القوة المركزية، فالحي الشعبي المغربي له أثر كبير على شخصيات (أهل البياض) ، أما الفضاء المكاني في الرواية هي أمكنة تتوالد وتتفرع حسب الأحداث والشخصيات، فتجسد بذلك أمكنة الإقامة والانتقال وتعطي مكانا مؤقتا أو دائما.

فقد أسهب الروائي (مبارك ربيع) في وصف مختلف الأماكن ومنحها أبعادا مختلفة، حيث توزع بناء المكان داخل الرواية من خلال الوصف الجغرافي والوصف الفني ضمن لغة تلامس روح المكان، وتعمل على تعرية الواقع المغربي لكشف خباياه.

وللإحاطة بالأمكنة المهمشة حسب اتساعها وانفتاحها، اختيارية أم إجبارية نقسمها إلى أمكنة مغلقة وأمكنة مفتوحة

1. الأماكن المغلقة:

هي الأمكنة التي حددت مساحتها ومكوناتها، فهي أمكنة العيش والمسكن التي يأوي إليه الإنسان، ويبقى فيه فترات معينة من الزمن سواء بإرادته أم بإرادة الآخرين. "فهو يمثل غالبا الحيز الذي يحوي حدودا مكانية تعزله عن العالم الخارجي، ويكون محيطه أضيق بكثير من المكان

المفتوح فقد تكون الأماكن الضيقة مرفوضة لأنها صعبة الولوج، وقد تكون مطلوبة لأنها تمثل الملجأ أو الحماية التي يأوي إليها الإنسان بعيدا عن صخب الحياة".[1]

أي أن الأماكن المغلقة تتصف بالمحدودية، بحيث أن الفعل لا يتجاوز الإطار المحدد كالبيت والغرفة، وتتميز هذه الأماكن بمميزات قد تكون إيجابية. مثل:الحماية والأمان، كما قدتكون مميزاتها معاكسة للسابقة، مثل:الخوف، الذعر. إضافة إلى ذلك، قد تكون الأمكنة المغلقة: أماكن ثابتة أو متحركة.

ومن بين الأماكن المغلقة التي جسدها الروائي (مبارك ربيع) في روايته (أهل البياض) نجد:

أ. الأماكن الثابتة:

وهي محددة ومغلقة، ويعمد الروائيون لتوظيفها أكثر في أعمالهم الفنية رغبة منهم في نقل الواقع الاجتماعي بصدق. "والمكان المحدد جزء من الفضاء المرجعي المنتمي إلى الفضاء القصصي، وأيا تكن أبعاده بيتا أو غير ذلك من الأماكن".[2]وكلها تشكل ملتقى الشخصيات الروائية، وفيها تتفاعل وتتحاور ومن بين أهم الأماكن الثابتة المتداولة في رواية (أهل البياض) نجد:

البيت:

هو المكان المغلق الاختياري، وهو المكان الوحيد للإنسان والمتعارف عليه أنه فيه يلقى الإنسان همومه وأفراحه، والبيت يحمل في جوفه الحماية والأمان "مكان لا بد منه لضمان استقرار الفرد، وإثبات وجوده، فهو خلية يتجمع فيها وداخلها أفراد العائلة، حيث يمارسون بشكل تلقائي علاقاتهم الإنسانية". أي أن الإنسان يحقق وجوده داخل البيت ويكون أفراد عائلته الألفة والمحبة، كما أن البيت هو المكان الوحيد الذي يحوي الإنسان بكل مراحل حياته العمرية.

" بيت الإنسان امتداد له"، وهو الذي يجسد حالته النفسية، وهو المكان الوحيد الذي يحرر صاحبه من سلطة المجتمع، فكل زاوية وكل قطعة أثاث تتشكل مع شخصية الإنسان. لقد ورد

---

[1] – اوريدة عبود، المكان في القصة القصيرة الجزائرية، دراسة بنيوية لنفوس ثائرة، دار الأمل للطباعة، الجزائر : دت، دط. ص 59.

[2] –محمد القاضي ومجموعة من المؤلفين، معجم السرديات، دار محمد علي للنشر، تونس : 2010 ، ط1. ص 418.

البيت في رواية (أهل البياض) على صنفين هما: البيت الشعبي المغربي وبيت الدعارة. كما أن الروائي (مبارك ربيع) أضفى عليه الكثير من الأحاسيس، وأصبح مكانا ناطقا، ووجودا محسوسا حيث تتعرف على البيت من خلال انطلاقات الشخصية اتجاه الحياة ومصائرها التي تتشكل بفعل وعيها وطموحاتها.

- البيت الشعبي:

هو مسكن يقع في القرية أو الحي الشعبي، ويمتاز بالعزلة وصغر الحجم. ولقد ورد في ثنايا الرواية كون الروائي يعكس لنا واقع المهمشين وحالتهم الاجتماعية. " تقبل بعض أيد نسوية على راضية[...] والبحث في أنحاء البيت عما ينبه شريا أو شما أو لمسا:قهوة، حامض، قرنفل، أي شيء ... بعضهن يسرعن إلى بيوتهن جلبا لعشبة أو مسحوق، كما يعرف لحالات مثل هذه، تبدوا مجهولة العلة... ويملأ أرجاء البيت بخور مختلفة نفحه، لا لمجرد تعطير، وإنما أيضا لطرد الشرور، ما كان منظورا منهت وغير منظور... وتبدو راضية كالمستعيدة لسانها على الأقل، لتبدأ المشاركة في بعض الأحاديث".[1]

يحاول الروائي (مبارك ربيع) من خلال ذلك أن يوصل إلينا هذه دلالات تتمثل في الوضع الاجتماعي والاقتصادي لعائلة راضية إضافة إلى البعد الأسطوري والخرافة، ولربما المجتمع المغربي يؤمن بالخرافات وأساطير الأولين، حيث هناك طريقة للعلاج بالأعشاب، كما أنهم يؤمنون أن هناك طاقة سلبية أو ما يعرف بالشرور، وإذ نجدهم يستخدمون البخور لتعطير وإبعاد هذه الشرور التي تصيبهم. فعائلة معزوزة تتستر تحت لواء البيت، ومن خلال اللغة التي يستخدمها الروائي يتضح لنا الوضع المأساوي، الفقر الشديد، القلق من حالة راضية، يشير إلى عقم الحياة بالنسبة للإنسان المهمش، فالبيت هنا يمثل حيز مكاني بائس، وله إحالة إلى بؤس الشخصيات التي التحمن في هذا المكان حتى صارت جزءا منها.

ويتخذ الروائي من ثبات هذا المكان، وهذا الوصف له رمزا لجمود الحياة وعدم تقدمها. "تتوقف فايزة أمام المنزل ملتفتة إلى الرجل، تطرق مرتين قبل أن تدفع مصراع الباب، منادية والدها

[1] - أهل البياض، ص 255.

منبئة بحضور ضيفه، ترحب عيدة بالرجل، يتقدم السهلي بناءا على إشارة المرأة باتجاه صوت زوجها الآتي من داخل الغرفة مهللا مرحبا بالقادم العزيز، يهب إلى ملاقاته عند عتبة الغرفة معانقا، ويقوده إلى الجلوس بجانبه على لبدة صوفية ثخينة[...] بقربها المجمر الطيني عن عتبة الغرفة، عليه مقراج يغلي جوفه ماء، يتلوى بخاره... يرتب السهلي الكؤوس في نصف دائرة حول البراد الفضي [...] ثم يضع حفنة من الشاي صغيرة".[1]

من خلال المقطع يتبين لنا أن الروائي منح مصطلح آخر للبيت وهو المنزل. فمن خلال اللغة التي صبغها الروائي (مبارك ربيع) على المكان (البيت) يظهر لنا عدم اتساع البيت وعدم وجود ما يجب أن يتوفر عليه البيت من لوازم، فالبيت هنا يسلب الإنسان حريته ويقيده، فهنا يصبح مثله مثل السجن، فهذا البيت تفوح منه رائحة الفقر وبؤس الحال وهو رمز لحالة الإنسان المهمش، والمقصي عن المجتمع في الوطن المغربي، أي أنه وضع اقتصادي واجتماعي مترد، دون أن ننسى أن هناك إشارة من الروائي (مبارك ربيع) إلى الألفة وكيفية الترحيب في هذا البيت المتواضع، وعليه يمكن أن نقول أن هذا البيت فيه دلالة على أنه اختياري وهناك دلالة أخرى على أنه إجباري، فالتهميش والإقصاء هو السبب الذي يدفع بالإنسان للعيش في بيت عادي لا تتوفر فيه أدنى شروط الحياة، وهنا يتحول البيت من مكان اختياري في غرف الأمكنة وتقاليد ما بحكم الحالة والتوتر إلى مكان إجباري، يتصف بضيق الحركة وعدم ممارسة الحرية، فالشخصيات هنا مسحوقة ومندحرة لا تحمل إلا خيبة الأمل ويتجلى ذلك في المقطع التالي:

"بعيد منتصف الليل يتحرك شبح مجلبب ليطرق بابا خلفيا لمنزل محجوب، الذي لم يكد هاتفه المحمول يهدأ من كثرة الرنين طوال يومه، مدخل أشبه ما يكون بمدخل مغارة، قل من يراه أو ينتبه إليه، فأحرى أن يطرقه أو يفتح في وجهه. الطرقة خاصة والاستجابة لم تتأخر، وسرعان ما ينفتح الباب ليدلف الشبح، فإذا محجوب وجها لوجه مع الشاف حموني".[2]

انطلاقا مما سبق يكشف لنا الروائي (مبارك ربيع) أن هذا البيت صغير لدرجة أنه قل من يراه أو ينتبه إليه، إذ مدخله يشبه المغارة، إنه مصدر للخواء والانكسارات ومصدر لهدم الإنسانية،

[1] – أهل البياض، ص 217.

[2] – المصدر نفسه، ص 111.

فهذا البيت ناطق عن الوضع المزري الذي يعيشه الإنسان المهمش وضعف الاقتصاد، فمحجوب يشعر بالذعر والخوف عندما سمع طرقا على الباب وسرعان ما فتح، يقابله مباشرة وجه الشاف حموني ذات الهيمنة والسلطة. فالإنسان المهمش حتى في بيته لا يشعر بالأمان، إنما يشعر بالوجع والقهر، ففي أية لحظة هو مهدد.

- بيت الدعارة:

هو نوع من البيوت السيئة السمعة واللاأخلاقية، "صاحبها كان بيته من زجاج، وكلهم من زجاج بيوتهم، عندما تفاجئهم ضربة غياتة، إنما بالحق لا عن تعد أو ظلم كيف تتعدى أو تظلم امرأة تسترزق بجسدها، تعطي أغلى ما عندها جسدها وروحها، مقابل فلوس مهما بلغ مقدارها فلن تعوض عن قليل أو كثير مما تدفع المرأة من كرامتها [...] يراهنون على الخوف والحياء".[1]

إن الروائي (مبارك ربيع) يتحدث عن بيت لا أخلاقي في الحي المغربي، وهو بيت من زجاج، قصدته غياتة لبيع جسدها، وهي امرأة ففيرة تقصده من أجل المال وسد رمقها، وهو ملاذ لنزوات الرجل وشهواتهم، فهذا البيت هو بيت الزنا والممارسات الجنسية، ومن هذا الواقع يتضح لنا أن هذا البيت يحمل شخصية ضعيفة ومحدودة الانطلاق،

فبسبب الفقر والحالة المزرية لغياتة وعدم قدرتها على كبحه، لم تجد أمامها وسيلة إلا التوجه نحو بيت الدعارة والاسترزاق بجسدها لرجال الهيمنة والسلطة بغية كسب الرزق. وإقامة علاقات هشت خاليته الانسجام العاطفي، وهي علاقات سريعة عابرة للشهوة، بائسة والبيت هنا لم يكن مكانا يضم زوجين متحابين، وإنما كان للمنافع الشخصية في كسب المال. وصار البيت مكانا لغرائز الرجل الشهوانية وغير المقبولة. "كانت ذلك اليوم،أي تمام إرادتها ووعيها [...] تمضي به في اتجاه المنزل وكان اتجاههما الأصلي عكس ذلك [...] فعلا بخفة مريحة رفعت، كما لو كانت على محمل وثير من سرير ووسادات من ريش وحرير، وكأنها هي بذاتها ريش وحرير... رفعت بمنتهى يسر وراحة، إنما اعتراها ارتعاب، مهما تكن راحة الوضع [...] أفرغ عليها سكينة كأنما

[1] - أهل البياض، ص 18.

أفقدتها كل شعور، إذا شعور أمان واسترخاء. حظوره أشاع فيها خدرا لذيذا، يستطاب دغدغاته،...".[1]

إن الوصف الذي قدمه الروائي كان متدرجا مما أكسب البيت بعدا جماليا للساكن، كما أن الروائي تلاعب بالألفاظ بصورة استطاع فيها أن يقدم لنا نوعا من جمالية اللغة ولاسيما تلك التي كانت تدل على التخصيص في كشف الممارسة الجنسية. فالمرأة في البداية كانت تشعر بالخوف والرعب ولكن بعد هنيهة أصبحت تشعر بخدر لذيذ وراحة واسترخاء.

إذا نرى أننا هنا أمام حالة أخرى مم البيوت التي تعد أماكن الإقامة والعمل، ولكنه عمل من نوع خاص، إن انعكاسات مثل هذه البيوت تختلف حسب نوعية الشخصيات فهو بالنسبة لغياتة مكان انتقائي وهو مكان يضمن مواصلة الحياة ومصدر العيش والرزق. أما بالنسبة لصاحبه فهو مكان للهو والمتعة، يعني أن هذا المكان أخذ ثلاث صفات ووظائف تتمثل في:الإقامة، العمل، الانتقال. دون أن ننسى أن هذه البيوت هي بيوت يمارس فيها الرجال حيوانيتهم وسلطتهم على المرأة.

وعليه نخطئ تماما إذا نظرنا إلى البيت كركام من الجدران والأثاث فقط، لأن هذه النظرة ستقتل الدلالة الكامنة فيه وتفرغه من كل محتوى ولذلك تميل الرؤية الأساسية لفضاء البيت وإدراك التعبيرات المجازية التي يتضمنها البيت يعده مصدرا لفيض من المعاني والقيم، فالبيوت والمنازل تكون نموذجا للحياة الداخلية التي تعيشها الشخصيات. وهذا ما فعله الروائي (مبارك ربيع) ليكشف لنا عن المسكوت عنه في الحي الشعبي المغربي وينفض الغبار عن أمكنة المهمشين وذلك كله بواسطة اللغة.

- الغرفة:

تتعدد الغرفة داخل الرواية بتعدد استعمالاتها. فهي دلالة على التقيد بين جدران أربعة بطريقة اختيارية تسمح بالتنقل بحرية، وتستعمل كصورة جمالية تستوعب إستراتيجية المعنى الذي يريده

[1] - أهل البياض، ص 255.

الروائي ويراه. إنها تضمر المعاني كقلب الإنسان تماما، وتبدو الغرفة في حالة أخرى مأوى لحديث العزلة.

" تأخذ قنينة الماء وتدلف إلى الغرفة لتجد زوجها، قد أوى إلى الفراش مأخوذا بنوبات متتالية من التثاؤب تنبئ ببالغ تعبه، وينبئ بدوره أن اليوم كان قاسيا في الورشة [...] تسود بينهما فترة صمت على ضوء خافت سرعان ما ينطفئ تاركا نأمة الحياة في ظلام الغرفة ، الحركة الاثنين في الفراش[...] يقطع بنشافة صمت الغرفة بعد هدوء الفراش، كأنه يستأنف حديثا سابقا بينه وبين معزوزة..."[1]

فالغرفة هي البؤرة الأساسية التي يأوي إليها الإنسان بعد تعب شاق في يومه، فهي توفر الرحالة والأمان، وملاذ للدفء، بين جدران تحتاج للمسات الآخر الحميمي إذ يفك عتمتها، فالمأوى يحتاج إلى آخر خاص يفك برودة الوحشة. فبالرغم من أن الحالة الاجتماعية المأساوية التي نلمسها مأساويو لهذه العائلة إلا أن الغرفة هي مكان الألفة والمحبة وللحديث فكل واحد يشكي للآخر ما يشعر به وما يجول في خاطره، فالروائي (مبارك ربيع) بفضل لغته استطاع أن يضعنا أمام مغزى المأوى الحقيقي، باعتباره مفهوما إنسانيا متكامل الوجود في نسيجه، فالمأوى ليس جدرانا فحسب تحمي الإنسان في الرياح والصقيع والحرارة، إنما ترتبط بوجود الأنثى والألفة، أي الحياة الزوجية.

وما تتضمنه من حياة متكاملة بالرغم من الظروف الاجتماعية الهشة والمكان الدنيء الذي يعيش فيه الإنسان المهمش والمقصي في مجتمعه. "تتفقد معزوزة نوم أطفالها في الغرفة الصغيرة حريصة على تسوية الغطاء عليهم، بطريقة تجعل سحبه من عنق أكبرهم حسن عملية متعذرة، مؤقتا على الأقل وقبل استتباب النوم. أما بعد ذلك، فكلما تفقدتهم صباحا عند الاستيقاظ، وجدت حسن ملفوفا بالغطاء كله، بينما يلتف أخواه أحدهما بالآخر، لا يدفئهما أساسا غير ما تلبسهما إياه

[1] – أهل البياض، ص 126، 127.

قبل النوم، تحسبا للحال... تسوي عليهم الغطاء لآخر مرة، قبل أن تأوي إلى الغرفة الثانية المخصصة لنومها مع زوجها بنشافة".[1]

يحاول الروائي من خلال هذا أن يعطي لنا لمحة عن الغرفة الصغيرة لبيت معزوزة وبنشافة، وما تحتضنه، حيث تذكي الغرفة مشاعر الحزن والأسى في نفس (معزوزة) وتزيد من معاناتها وآلامها وتضاعف أحاسيسها بالقهر والانسحاق، منظر أطفالها النيام على فراشهم الرث، وعدم وجود الغطاء الذي يقيهم من البرد.

تتصل هذه الرؤية الداخلية التي يكشفها لنا الروائي (مبارك ربيع) للمكان بدلالات الحزن والحسرة، إذ أنها تكشف عن حياة البؤس والفقر، فكأنهم حشرات آدمية تفتقد إلى أدنى شروط الحياة الكريمة. ومن خلال هذا نلمس الحالة الاجتماعية للعائلة المغربية المهمشة.

- ورشة البناء:

هي المساحة المخصصة لمشروع ما، تتكون من عمال، مواد بناء ومخطط لمشروع:" الورشة هي تنظيم لمراحل وفعاليات العمل ضمن شروط معينة تضمن سرعة التنفيذ وجودة العمل وكذا اقتصادية المشروع".[2]أي أن الورشة مكان مغلق فيه مواد عدة مثل:الاسمنت، الحديد وتتضمن مختلف اللوازم التي يجب أن تتوفر للقيام بمشروع ما. ولقد ورد هذا المصطلح عدة مرات في رواية (أهل البياض)، باعتبارها مكان يقصده المهمشين بغية كسب الرزق حتى وإن كان المبلغ زهيد والعمل شاق.

" الورشة في حاجة إلى أكثر من ثلاثة عمال يدويين عرضيين منذ ما قبل صرف أو انصراف أثيني منهم، فما بالك بحصاصها اليوم. لا يدري بنشافة من أو ما ابتلع أصحاب الموقف من عمال منتظرين في العادة من يشغلهم ليومهم ولأيام".[3]

---

[1] – أهل البياض، ص 136.

[2] – العوامل المساهمة في تنظيم الورشات، عن موقع الانترنيت https://archives.m.Wikipedia.org، بتاريخ: 2018/07/01، الساعة 11:30.

[3] – أهل البياض، ص 135.

من خلال ما سبق يتضح أن الورشة مكان يحتاج إلى عمال يدويين، وأن المهمشين ينتظرون من يشغلهم ليوم أو لأيام، أي أن ليس لهم عمل محدد ويومي. " كان في طريقه إلى ورشة المزاوي [...] ليشير خلق لكي يعمل ... الرجل كالفأس".[1] وينبئ بدوره أن اليوم كان قاسيا في الورشة، حيث لم يفارقهم المزاوي طرف عين[...] تستجيب معزوزة لحديثه مؤكدة أن الشغل دائما متعب [...] مضيفة أنها تفضل ألف مرة تعب ورشة البناء، على تعب المنزل والأطفال يتعب ذلك كله".[2] ومن خلال ما جسده الروائي عن ورشة البناء يتبين لنا أن فئة المهمشين يستغلون في الأعمال الشاقة، ولهم أماكن خاصة بهم، أما صاحبها فله السلطة والهيمنة على العمال فلا يفارق العمال ولو لطرفة عين. كما أن من خلال الحوار الذي دار بين الشخصيات نستشف أن كل واحد يشكو من التعب سواء من الأعمال المنزلية أو من تعب ورشة البناء، فاللغة هي التي تمنح لنا الفرصة في كشف غور المضمر والمسكوت عنه.

فالورشة مكان مغلق ثابت وإجباري. فالإنسان المهمش والذي يعاني من الإقصاء ليس لديه أدنى خيار في اختيار العمل، فهو يعمل بكد وعناء من أجل سد رمقه وهو مقيد إذ أنه لا يشعر بالحرية حتى في أبسط الأماكن.

- **المخفر:**

يعد المخفر مكان مغلق إجباري، فيه ضغط على الشخصية، حيث تمارس فيه الشرطة الحاكمة عنفها وتعسفها، ومن ثم فهو مكان مكمل للسجن أو هو العتبة التي تلج من خلالها الشخصية إلى عالم السجن.

ولقد شغل له الروائي (مبارك ربيع) حيزا كبيرا في الرواية ، فهو مكان يجبر الإنسان المهمش للدخول إليه."... تلك الوجهة التي لم يعد من شك فيها، إنما في كوكبة القوة الأمنية بلباس رسمي، بلباسهم العادي الموحد، لباس العمل، الميدان، وبالسلاح الواضح الصريح [...] عشرات أفراد القوة

[1] – أهل البياض، ص 134.

[2] – المصدر نفسه، ص 162، 127.

باللباس والسلاح تحبط بالجمهرة من جانبين [...] كالحارس الأمين دون نأمة أو حركة [...] الأصبع الرابطة سبه ملتوية أو تكاد حول الزناد".[1]

يركز الروائي (مبارك ربيع) في تقديم المخفر على وصف عناصر الشرطة الذي قيدت إليه شخصية (لبشير) و(السهلي)، فمنظر هؤلاء الشرطة يوحي بالسلبية وتعسفهم في حق الموقوفين. وهي دلالة على قسوة القانون اتجاه المتهم سواء أكان مذنب أم غير مذنب. "يستشعر ذلك فحسب، يستشعره في عمقه بصمت وهدوء غير قادر على الالتفاف إلى جانبيه أو إلى الوراء، وغير قادر على الرؤية والتمييز، إلا من لهاث يجاوب لهاثه، ونبض مجاور لنبضه، على الخط نفسه وعلى مقربة من أفواه السلاح المشرع، باب النار مفتوح".[2]

فمن خلال اللغة التي أكسبها الروائي على مسحة المكان، يجعلنا نستنبط ونحس مدى الخوف والرعب الذي يشعر به المظلوم المهمش، فلمجرد النظر لهذه الهيئة يحس بعدم الأمان وعدم الحرية لأن المتعارف عليه أن الأمن هو الذي يسهر على راحة المواطن، ولكن ما يشاهده الروائي في وطنه المغرب عكس ذلك، فالنظام والقانون يتستر وراء قناع .

فالظاهر هو الشعور بالحرية والأمان ولكن الباطن عكس ذلك، فالسلطة غاشمة في حق المواطن، فهؤلاء هم من يعملون على استبعادهم وتهميشهم "أمام مدخل المخفر في مواجهة السهلي ، وعلى طول امتداد ضلع المبنى، تتراص قوات في انتظام، تبدو جاهزة متحفزة أكثر".[3]أي أن المكان (المخفر) هو مكان مغلق وعلى حافة جدرانه تتراص عناصر الأمن.

فالروائي (مبارك ربيع) يشدد على وصف المكان واكتظاظه. وهذه الصفات التي منحها للمخفر تشعر الشخصية المقصية والضحية بالضيق والتبرم والنفور من المكان، وهكذا يتحول مخفر الشرطة إلى مصدر مضايقة وإزعاج، تكال له فيه التهم الأخلاقية وتداس فيه كرامته وإنسانيته، إن الروائي يحاول صياغة وإعادة تشكيل الواقع عن طريق اللغة التي منحها للمكان الثالث (المخفر).

---

[1] – مبارك ربيع، أهل البياض، ص 137.

[2] – المصدر نفسه، ص 151.

[3] – نفسه، ص 153.

ب. الأماكن المتحركة:

هي إحدى الفضاءات التي تمارس فيها الشخصيات أفعالها ولقد شكلت الأماكن المتحركة حقلا خصبا لسيرورة الأحداث وتطورها، حيث كان لكل وسيلة انتقال حدث، وكانت اللغة تتناسل من خلال تلك الأماكن أيضا.

ومن المؤكد أن المكان المتحرك يحتل الدرجة الثانية، لأن الحوار بين الشخصيات ينطلق من المكان الثابت إلى المتحرك"أما أماكن الانتقال فتكون مسرحا لحركة الشخصيات وتنقلاتها، وتمثل الفضاءات التي تجد فيها الشخصيات نفسها كلما غادرت أماكن إقامتها الثابتة".[1]فالأماكن الثابتة هي أماكن جامدة وساكنة في حين أن الأماكن المتحركة تتمثل في وسائل النقل. ولقد عمد الروائي إلى استخدامها في الرواية ليبين لنا إحدى الأماكن المخصصة للمهمشين والمقصيين، وهي أماكن مستمدة من الواقع الاجتماعي، فالمكان هي أماكن ذات سطوة على الشخصيات ومنها ينبثق ويعلو صوت المهمش المزري، حيث توجد العديد من البؤر الإنسانية المفرطة في دونيتها في المجتمع المغربي ولذلك حاول أن يعكسه بجماليات فنية في روايته (أهل البياض).

سيارة الفاركونيت:

وهي وسيلة نقل لبعض شخوص (مبارك ربيع) في روايته حيث وظفها كمكان متحرك وأرضية لغوية لشخصيات، وفي الواقع أن السيارة مكان متغير، لا يحوي الشخصيات إلا لبعض الوقت ثم ينفتح على عالم آخر مغلق وهو المخفر.

ولقد تناولها الروائي (مبارك ربيع) في ثنايا خطابه وجسدها في ثوب محسوس رغم دنائتها؛ ليبين لنا من خلالها عدة دلالات تتعلق بالإنسان المهمش؛ وليعطي خصوصية محددة للمكان؛ يفرز من خلالها حماقات وخطايا ورذائل تبصم المكان نفسه ببصمات غاشمة؛ " يطبع سير الفاركونيت وراء الرجل مسافة معلومة.....تمهل جذر رافقه إطفاء أنوار السيارة؛ وكأنها بمقرب هيكلها المنتفخ وبطء الحركة؛ أشبه ما تكون بظهر سلحفاة تسعى على أديم من جنس لونها.بطء حركة يكاد المحرك ذاته يهمد معه ويسكن؛ إنصياغا للرغبة في عدم إصدار أي صوت؛ في مرحلة

[1] – حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، ص 40.

متابعة وترصد ....."[1]؛إن الروائي (مبارك ربيع) من خلال لغته يقدم لنا وصفا دقيقا لسيارة الفاركونيت؛ وهي تمشي بمحاذاة أحد المهمشين؛ حيث تترصد حركاته وتنتظر الوقت المحدد للإمساك به والزج به في جوفها المظلم." في كل مرة يستقبل جوف الفاركونيت ضيفا جديدا؛ في الجولة الطويلة المتعرجة لدورية الشرطة كانت تنشب معركة؛ ويحمي وطيس ضجة لا يكاد يهدأ من استنكار التجني في ظروف الإمساك وطريقة التعامل؛ إلى التأفف من الضيق الخانق في جوف عربة بلا نوافذ أشبه ما تكون بكهف أو قبر متحرك إلى التذمر من اختلاط الروائح والانفاس....دون أن يمنع ذلك كله طبعا؛ من ينشد ظلمه أكثر".[2] يتبين لنا أن الروائي (مبارك ربيع) قدم لنا جوف الفاركونيت كقبر متحرك؛ وكمكان مغلق يتواجد فيه الإنسان المهمش حيث يشعر فيها بالاختناق والضيق؛ إنه مقيد ومجبر على التواجد فيه.ومن خلال اللغة التي تتصاعد من الذات المهمشة والتي صبغها الروائي على المكان يجعلنا نكتشف أبعاد وأنواع المسكوت عنه ؛ خاصة تلك الملامح المتدينة الضاربة بجذورها في كل شيء دفيء هذا المكان؛ كما أن قوقعة المكان جذبتها إلى واقع المهمشين؛ والحالة المأساوية وواقع الحي المغربي؛ إذ أصبح كل ما يراه الإنسان المهمش ظلام؛ أي أينما وجدوا أصبحت حياتهم تتلون بلون واحد؛ وعلى أساس هذا وقعت تسمية الروائي لرواية(أهل البياض) فالروائي يحاول أن يصنع عنصر التوهج في الحي الشعبي المغربي ويكشف عن القناع الذي تتستر وراءه السلطة وتقوم بتعرية هذا الواقع المرير. إن المكان المغلق يجعل الشخصية تشعر بالضغط والقيد والارتباك؛ لأن المكان ينعكس على الشخصية بالدرجة الأولى؛ وعليه فالمكان المغلق هو الذي يفقد الإنسان المهمش هويته وحريته؛ ففي أبسط الأماكن يعقد الحرية. فالمكان المدنس والمقزز والمقرف والمتعلق؛ وكل ما يحمله من سبيله هو الذي يعبر عن تهميش الشخصية ومعاناتها وبؤسها وحرمانها وألأمها؛ فالروائي (مبارك ربيع) حاول جاهدا أن يكشف لنا عن واقعه المغربي بصورة لغوية ومصداقية آلامها لتعرية إحدى جوانب الحياة الاجتماعية المهملة وفضح المسكوت عنه ؛ ولتوصيل الصورة للقارئ توصيل مباشرا أضفى

[1] – أهل البياض، ص 11.

[2] – المصدر نفسه، ص 08.

على المكان المغلق لمسة فنية بريشة مبدع؛ ونسيج متماسك بفضل اللغة اصبغها على المكان وجعله ناطقا باسم المهمشين.

2/ الأماكن المفتوحة: لها أهمية كبيرة في جميع الروايات؛ إذ أنها تساعد على إخراج جوهر الرواية من قيم ودلالات تتغلغل وتتصل بها؛ فهي حيز مكاني رحب لا تحده حدود ضيقة؛ حيث يشكل فضاء رحب مع الشخصية الروائية أيضا؛" فهو حيز مكاني خارجي لا تحده حدود ضيقة؛يشكل فضاء رحبا وغالبا يكون لوحة طبيعية للهواء المغلق"[1] أي أن المكان المفتوح لوحة طبيعية في الهواء الطلق؛ فالمكان بمثابة البطل في مكونات الخطاب الروائي؛ وهو الذي يجعل الرواية بناء حي متناسق ويجعلها للقارئ حدث حقيقي؛ إذ لا يمكن تخيلها إلا في إطار مكاني. " تتخذ الرواية في عمومها أماكن منفتحة على الطبيعة ينظر بها الأحداث مكانيا؛ وتخضع هذه الأماكن لاختلاف بغرض الزمن المتحكم في شكلها الهندسي"[2] ومنه يتبين أن للمكان المفتوح هو مكان لا تؤطره حدود هندسية؛ فهو فضاء مشع على الطبيعة وممتد جغرافيا. تخوض رواية (أهل البياض) في عوالم ومستويات عدة؛ فهي مبنية على لغة صادقة وقدرتها على تجسيد التجربة الإنسانية في مختلف لحظاتها؛ ويقدم الروائي (مبارك ربيع) من خلال ذلك المجتمع المغربي الذي يعاني الوجع والألم والأسى والضياع ؛ فهي لغة واقعية تقطر ببساطتها وملامستها للواقع المهمش؛ وتجسيدها لكل البيئة المغربية ومنه يتضح لنا الحضور المتميز للاماكن المفتوحة إطارا لأحداثها بحيث يسمح بالاتصال مع الآخرين؛ وذلك بالانتقال من مكان إلى آخر وهذه الأماكن تتحدد أثناء عمليتنا لقراءة الرواية:

الشوارع والأزقة: لقد وفق الروائي (مبارك ربيع) إلى حد كبير في وصف أدق تفاصيل الشوارع والطرقات والأزقة؛ مما جعلنا نستكشف من خلال هذا الوصف الحالة التي يعيشها المهمشين؛ كما أننا نشعر من خلال اللغة والحوارات التي تدور بين شخصيات الرواية؛ الواقع المر والمأساوي الذي يعيشه المجتمع المغربي في ظل النظام المستبد؛ وكذا حالة الإقصاء والتهميش؛

---

[1] – اوريدة عبود، المكان في القصة القصيرة الجزائرية، ص 59، 60.

[2] – الشريف حبيلة: بنية الخطاب الروائي، دراسات في روايات نجيب الكيلاني، عالم الكتاب الحديث، الأردن: 2010، ط1. ص 244.

فالإنسان المغربي؛ إنه مكان مفتوح ؛ مثقل بالمهمشين إذ هي تشخيص لعوالم المهمشين والشخصيات المنكسرة التي تحلم أحلاما مؤجلة " ....في طريقها الملتوي وسيرها غير المنتظم بطيئة كأنها تتحرك واقفة حينا؛ ومسرعة مطاردة حينا أخر؛ حسب ما ترصده حقا من أشخاص مشتبه فيهم يتمطون ويختبئون أو تبا لما يتراعى لها وهما من أشباح تتوارى؛ فتمعن وراءها في الأزقة والمنعطفات والأركان المظلمة؛حتى يدركها اليأس؛ فتنصرف وجودها إلى اتجاه آخر لاعنة.

غاضبة، يغمرها فيض من الغيظ تكتنزه لمن يأتي به الدور القادم بعد ذلك".[1]

يتبين أن الشوارع والأزقة هي أمكنة يجد المهمشين والمجرمين ظالتهم فيها، إذ يختبئون فيها هروبا من السلطة، حيث تتميز هذه الأماكن بالظلمة والمنعطفات والالتواءات، ولقد حاول الروائي أن يصور لنا الواقع المغربي بلغة واقعية وبكل مصداقية، كما أنه يتبين لنا من خلال ذلك ممارسة السلطة في الشارع، فدورية الشرطة يدركها اليأس عندما تترصد المهمشين ويغمرها فيض من الغيض عندما تعجز عن الإمساك بهم.

بما أن الروائي (مبارك ربيع) يقصد من خلال ذلك تعرية الواقع المغربي، نلمس أن الحي المغربي يعشعش فيه الفقر المدقع والانحرافات والظلم والتهكم. ولا يجد الإنسان المهمش والمنحرف وسيلة أمامه للفرار من ذلك إلا التسلل عبر الأزقة والشوارع ليلا ونهارا بغية الوصول إلى أهدافهم ورواج مبيعاتهم غير قانونية مثلما تفعل أحد الشخصيات في الرواية (السهلي) ،

"يخطو السهلي بتؤودة متعرجا مع أزقة مألوفة، قبل أن تتسلمه وسعة أشبه ما تكون بفراغ ترك عفوا أو مؤقتا، منها بساحة أو فسحة فضاء. ينحرف يسارا نحو مخرج الحي، دون تغيير في إيقاع خطو وقصده".[2]

إن الشوارع والأزقة هي مرتاع المهمشين حيث يتسللون خفية بين مآزقها الضيقة بخطوات متأنية حتى لا يدرك أحد ما يفعلون، فالشوارع والأزقة تمنحهم حرية التنقل وعبور بكل نموذجية، وهذه الشوارع خالية من الناس وهادئة. وهذا ما يدل على عدم استقرار الأوضاع. كما أننا نلمس من خلال ما سبق أن شوارع المغرب تتميز بالضيق وعدم الاستواء، وهي في الليل موحشة، تثير

[1] – مبارك ربيع، أهل البياض، ص 138.

[2] – المصدر نفسه، ص 132.

الخوف ولكنها رغم ذلك تعد أماكن رحبة للشخصية المهمشة والمقصية للوصول إلى أهدافها والولوج إلى مبتغاها.

" يحفزها لتتهيأ في النوبة المقبلة ... فعلا يتوجه إلى صندوق التوجيه على حافة الطريق، ويستعمله بالتحكم اليدوي مطيلا فترة التوقف على نحو أكثر مما كان، تجد فايزة ذلك فرصة للتنقل بين بضعة زبائن، على نحو لم يكن ممكنا في السابق". [1]إن اللغة بكثافتها وحسيتها ووضوحها، ودقتها عرضت نمط الحياة والظروف التي اكتنفت بها شخصية فايزة، وهي لغة تحمل كثافة حسية عالية وانفعالية، وقد صاغت المكان والمتمثل في الطريق و الشارع ببنية من الصور المتداخلة مع الطبيعة والظلم والفقر والصراع حتى الرمق الأخير من أجل الحياة، فالفتاة فايزة تجد هدفها في الشوارع، حيث تنتظر توقف السيارات فتنتقل بينها لكي تبيع سلعها الرخيصة. " تتوخى الوقوف على جانب الطوار، تنتظر فرصة توقف السيارات مع الإشارة الحمراء لتهتار زبونها الجديد، تستشعر دائما إطالة مدة الأخضر على حساب الأحمر".[2]

يستخدم الروائي (مبارك ربيع) لغة الوصف للمكان بحيث تكون معبرة ومنتقاة انتقاء حسنا يناسب السياق الذي تحكي فيه الشخصية. إذ عن طريق هذه اللغة نتحسس عمق الواقع ومأساة الإنسان المهمش المغربي.

فمن خلال اللغة الواصفة اكتشفنا المكان المتمثل في الطريق والشارع، وباللغة أيضا نتخسس رؤية الروائي ولهاثه وراء المغزى المفقود في الحياة. "ماذا يقال؟ بنت (لبصي) عبدة تلاعب الجميع في الشارع والأزقة المظلمة والخلوات؟".[3] ومنه يتبين لنا أن اسم الشخصية (فايزة) ارتبط بالشارع والأزقة، ويمكن اعتبار ذلك منعرج آخر للحياة، فهو مكان لكسب الرزق وكبح الفقر والمعاناة والحزن.

---

[1] – أهل البياض، ص 93.

[2] – المصدر نفسه، ص 207.

[3] – نفسه، ص 115.

- **الغابة:**

مكان طبيعي، ذو أشجار وأنواع عديدة من النباتات، وتعتبر الغابة منذ القدم موضع الأسرار والغموض والتوحش، وتمثل ذلك الغطاء الذي يحتمي به المجرمون واللصوص والمنحرفين، وقد حضرت الغابة في الرواية بدلالة سلبية، حيث يقصدها مروجوا المخدرات والسكارى واللصوص ، فهي مكان المهمشين، حيث يسلط الضوء على بعض التجاوزات التي تتستر وراء الغابة.

"حتى يحاذي منطقة الغابة القريبة، ليعلن خفته منحرفا باتجاهها، متسربا بين نباتاتها وثنايا الظلام".[1] منه يتبين أن الغابة هي مكان انتقال الفارين من عقاب الشرطة رغم صعوبة المسالك وخطورتها "... دخول خط سيره في موازاة فجوات الدغل ببضع خطوات على يساره ... غابة ملتفة تختلط فيها أشجار قصيرات وسميكات إلا أنها شديدة الالتفاف بقصير غطاء النباتي، متعذرة الولوج والاختراق إلا عبر ممرات ضيقة لا يضبطها نظام ولا انتظام، مشكلة بذاتها آمن ملجأ ومأوى أكثر من مغارة سرعة انعطاف واختفاء كمن يريد ويحتاج، ولم يكن هدفا متابعا على هذا النحو...".[2] أي أن الغابة كانت الملجأ الوحيد الذي يهرع إليه الفارون خوفا من دوريات الشرطة وبطشها.

إن المكان المفتوح بالنسبة للشخصيات الروائية يجعلها تتجاوب معه، ففيه يشعر الإنسان المهمش بحرية حتى وإن لم تكن حرية تامة، ولكن فيه يتمكن من تحقيق أهدافع وآماله دون تردد. فكل التجارب التي يعكسها المكان المفتوح على الشخصية المهمشة، والتي تعيش حياتها الخاصة بمثل هذه الممارسات المتدنية المأزومة هي التي منحت الخطاب الروائي أبعاده وسماته الخاصة

ويمكن أن نلخص كل ما قلناه فيما يلي:

[1] – أهل البياض، ص 12.

[2] – نفسه، ص 11.

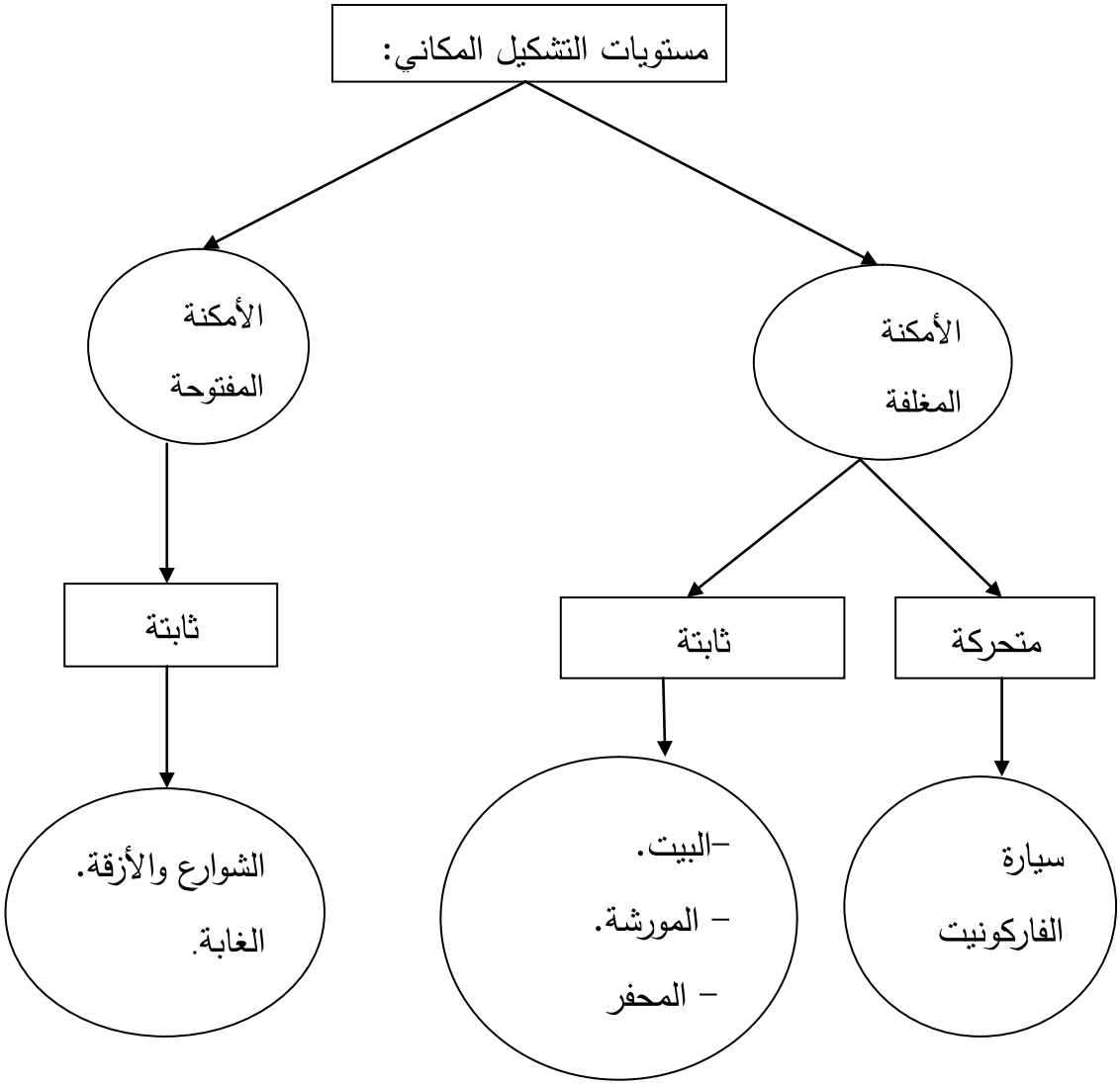

مخطط تشكيلي لمستويات المكان داخل الرواية:

ونخلص في الأخير أن مستويات التشكيل المكاني في رواية (أهل البياض) قد تعددت حدود الوصف والتصوير الهندسي لتكشف عن المستور والمضمر والمسكوت عنه. فالحي الشعبي المغربي واقع لا يمكن تجاوزه أو عض الطرف عنه لما يعانيه من الإقصاء والتهميش والاستبعاد على جميع المستويات، فالروائي (مبارك ربيع) عبر تصويره لهذه الأماكن بمختلف أنواعها (المغلقة/ المفتوحة) التي تزأر تحت الفقر والمعاناة، قد أزاح الستار عما هو مسكوت عنه، وصور نماذج حية من البؤس والتشرد والضياع في عالم لا يحمي الضعفاء، بل ولا يعترف بهم أصلا

ووطن يزيد المهمش تهميشا، ويعلي من شأن المركز ويزيده قوة وظهورا. فالمكان ناطق باسم المهمش.https://www.facebook.com/profile.php?id=100011671155573

ثالثا: علاقة المكان بالشخصية المهمشة:

العلاقة التي تجمع بين المكان والشخصيات تتطلب إمعان النظر، ذلك لأن هذه العلاقة " تتعدى العلاقة الشكلية، لأن المكان لم يعد إطارا خارجيا جامعا لحركة الشخصيات، بل إن المكان الروائي تجاوز وجوده السطحي المرتكز على البعد الجغرافي والفيزيائي. فقد أصبح يحدد سلوك الشخصية واتجاهاتها زيادة على أن تقاليد المكان وأعرافه تحكم نفسية الشخصيات وممارساتها".[1]

أي أن المكان لا يشكل فقط الإطار الذي تتحرك فيه الشخصية إنما يتعدى ذلك، إذ لما نذكر المكان يستدعي ذكر الشخصية معه. إن المكان في رواية (أهل البياض) هو الكيان/ الجسد الذي يتضمن هذه الشخصيات الروائية التي قد تموت بموته أو تحيا بحياته. إنه يضفي الحركة والجمود على الشخصيات، حيث يجعلها تتحرك بمختلف الاتجاهات كما يمكن أن يجعلها تتوقف، خاصة وأن الروائي (مبارك ربيع) يصور لنا الحي الشعبي المغربي. فالمكان "هو المكان الاجتماعي الذي يحتوي على خلاصة التفاعل بين الإنسان ومجتمعه، لذا فشأنه شأن أي نتاج اجتماعي آخر يحمل جزءا من أخلاقية ساكنيه وأفكارهم ووعيهم"[2] ، ومنه يتضح أن المكان يشكل المجتمع بالنسبة لشخصيات من مخلال مختلف العلاقات والتفاعل الذي يحدث مع أفراد المجتمع.

كما أنه يمنح للشخصيات بعض الصفات والسلوكات. أي أنه يحدد ملامح الشخصية وطبيعة أفعالها. أي أن المكان الذي يسكنه الشخص ويتحرك فيه، ويتفاعل معه مرآة لطباعه "وهو يعكس حقيقة الشخصية، وإن حياة الشخصية تفسرها طبيعة المكان الذي يرتبط بها"[3] أي أن أهمية الشخصية داخل الرواية تتجلى من خلال اقترانها بالمكان بمعنى، هناك ارتباط وثيق وقوي بين

---

[1] – أسماء شاهين، جماليات المكان في روايات جبرا إبراهيم جبرا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت: 2005 ، ط1. ص 113.

[2] – المرجع نفسه، ص 113.

[3] – سيزا قاسم، بناء الرواية، ص 114، 115.

الشخصية والمكان وخير دليل على ذلك كون الله (سبحانه وتعالى) خلق الكون ثم خلق الكائنات الحية، فوجود المكان استوجب وجود الشخصيات فيه، والعكس صحيح.

تعد الشخصيات في رواية (أهل البياض) محور الحركة، وعصب الحياة فيها، وهي مختلف حوادث الرواية ، والروائي (مبارك ربيع) استمد شخصيات هذه الرواية من الحياة لكنه لم يأخذها كما هي في الواقع، بل اقتبس بعض الملامح من الحياة ثم شرع في منحها ملامح نفسية وجسمية واجتماعية لهذه الشخصيات المهمشة في الواقع المغربي ، وذلك بما يوافق أغراضه الفكرية. فشخصيات (رواية أهل البياض) شخصيات تائهة وسط أوحال الإقصاء والتهميش والاستبعاد ، وهي مغلفة بالقهر المفروض عليها باحثة عن هوية، ذات كيان مستلب، فنكشف ذلك من خلال الرواية ومجموعة من القيم مع تعدد السلوكات الاجتماعية المختلفة الواردة في الخطاب الروائي ، فالفضاء الروائي هو فضاء الفقر والتشرد والبؤس وهذا واقع طبيعي للمجتمع المغربي.

إن علاقة الشخصية بالمكان مبنية على أساس التأثير والتأثر، حيث تكشف عن أهمية المكان بالنسبة للشخصية المهمشة ويكشف عن كل أبعاد الشخصية وتجلياتها النفسية والاجتماعية ... إلخ وكذا العكس بحيث يكشف عن أهمية وجود الشخصية المهمشة بالنسبة للمكان من حيث أنها تنظم وتحدد أبعاده وتكشف عن جمالياته الفنية، أي أن من خلال ملامح وصفات الشخصية المهمشة نتعرف على نوع المكان الذي تسكنه، ومن خلال المكان نستنبط الشخصية المتواجدة في هذا النوع من الأماكن.

فالشخصية الروائية تماثل الواقع الذي يحكي عنه الروائي ، يرى لوكاش "أن أهمية الشخصية تأتي من تمكن مبدعها من الكشف عن الصلات العديدة بين ملامحها الفردية، وبين المسائل الموضوعية العامة، ومن قدرته على جعلها تعيش أشد قضايا العمر تجريدا وكأنها قضاياها الفردية المصيرية".[1]أي أن أهمية الشخصية تظهر في العلاقات المتشابكة المختلفة التي يمنحها الروائي لها داخل البناء المعماري للخطاب الروائي.

[1] – جورج لوكاش، دراسات في الواقعية، تر: نايف بلوز، وزارة الثقافة، دمشق: 1970، ط2. ص 28.

لقد استخدم الروائي (مبارك ربيع) الوصف، لأنه الوسيلة التي يكون بها قادرا على رسم جوانب البيئة المغربية، وتصوير الشخصيات المنبثقة منها ما يعادل الفقر المدقع والحزن والأسى والتشرد، ثم منحها هوية وأحوال نفسية، كما كان أيضا للحوار دورا داخل رواية (أهل البياض) إذ يعد وسيلة الاتصال بين مختلف الشخصيات المهمشة ، حيث جاء بلغة مماثلة للواقع المغربي. بالإضافة إلى ذلك تمكن الروائي (مبارك ربيع) من الكشف عن أعماق الشخصيات وخفاياها ومستواها الفكري والنفسي والاجتماعي ليقدمها لنا في الأخير شخصية حية حقيقية.

تنتهي أحداث الروائي إلى تشكيل وعي مناهض لدى المتلقي عن المجتمع المغربي وتعرية المضمر والمسكوت عنه.

ونختم تحليلنا للفصل بقولنا أن رواية (أهل البياض) لمبارك ربيع هي رواية تنقل الواقع المغربي بكل تفاصيله وذلك عن طريق لغة السرد والحوار التي تصف المكان ، والتي تنقل الحالة النفسية للشخصيات. فشخصيات الرواية هم أبطال بلا بطولة، هو الشخصيات العادية في الحياة التي تبحث عن السلام والرزق الحلال ورغم ذلك لا يرحمهم المجتمع، فهم يواجهون الذل والحرمان ويعانون الفقر فتتحول حياتهم إلى مأساة كبيرة.

فكل شخصية من هذه الشخصيات المهمشة اتخذت لنفسها مكانا تهرب فيه من الواقع المر ومن القهر والظلم فيمكن تسمية هذه الأمكنة بأمكنة المهمشين لأن العيش في الهامش يؤدي إلى التمركز على الذات ومحاولة الخلاص من هذا التهميش ما يؤدي بالفرد إلى العزلة الداخلية واستبدال المكان العام بأماكن خاصة تنتج عالما خاصا يفيض أحلاما وآمالا.

فوظيفة المكان في رواية (أهل البياض) قد تجاوزت حدود الوصف الكلاسيكي والتصوير الجغرافي والهندسي لتكشف عن المستور ، كما أتت الشخصيات التي تقطن هذه الأمكنة هي شخصيات مهمشة تعاني الإقصاء والتهميش والاستبعاد على جميع المستويات. فالروائي (مبارك ربيع) بوصفه لهذه الأمكنة التي تعج بالفقر والمعاناة وتصويره الواقع المرير الذي تعيشه الشخصية المهمشة يكون قد أزاح الستار عما هو مسكوت عنه، وصور نماذج حية من البؤس والتشرد

والضياع في عالم لا يحمي الضعفاء، بل ولا يعترف بهم أصلا باعتبار أن المجتمع يزيد المهمش تهميشا ويعلي من شأن المركز ويزيده قوة وظهورا.

الخاتمة

لكل بداية نهاية، وهاهنا نختم باللمسات الأخيرة للعمل الذي قمنا بإنجازه ونحن نقف عند آخر محطة في هذا البحث الذي تناولنا فيه مدخل وفصلين. وعن النتائج التي توصلنا إليها من خلال خوضنا غمار هذا البحث كالآتي:

– الرواية مرآة أدبية للمجتمع، إذ هي قراءة ظاهرة وكشف مستوره وملامسة جراحه ورصد حكاياته الظاهرة والباطنة ورواية (أهل البياض) ل(مبارك ربيع) سارت وفق ذلك فرواية أهل البياض تجسيد لما يمكن أن ينتجه الفقر في أي مجتمع وقع في مهاوي الدعارة والرذيلة في وسط السلطة، فالرواية تعكس صورة عن طبيعة الأحياء الشعبية المغربية وما يقع بداخلها، فهي تقف عند مكمن الجرح أي جرح المجتمع وآفاته.

– رواية (أهل البياض) سلطت الضوء على المسكوت عنه وحاولت كشف المضمر فشخصيات الرواية تعاني الإقصاء والتهميش والظلم والقهر في ظل سلطة المركز باعتبار أن المركز والهامش ثنائية ضدية تشمل جميع المجالات الاجتماعية، الاقتصادية، الثقافية، فهما يشكلان علاقة جدلية ضاربة في القدم.

– العلاقة بين المركز والهامش غير مستقرة قوامها التنافس والصراع فلا وجود لأحدهما في غياب الآخر.

– رواية (أهل البياض) تعالج قضايا المهمشين بكل امتياز كقضية الفقر، المرأة والمجنون، فالرواية تعكس الواقع بكل تفاصيله فكل شخصية من شخصيات الرواية تمثل صورة من الواقع المغربي

– تهميش الشخصيات بسبب الفقر والظروف الاجتماعية مما أدى بها إلى الانحراف والتمرد على السلطة والمركز، كما نجد في رواية (أهل البياض) سياسة تهميش المثقف ليعيش في الظلام وسط الانكسارات والخيبات المتكررة بسبب الإقصاء والاستبعاد

– لقد اتسمت اللغة في رواية (أهل البياض) بالتنوع والاختلاف لترسم للقارئ جماليتها وبصمتها الخاصة، (فمبارك ربيع) يريد أن ينقل لنا الواقع بكل حيثياته، وهو على يقين أن خطابه الروائي موجه لجميع فئات المجتمع البسيطة والمثقفة.

– إن مستويات اللغة في رواية (أهل البياض) متعددة بتعدد الشخصيات، فلقد حاول الروائي (مبارك ربيع) أن يجعل كل شخصية تنطق بلغتها، فلقد كانت لغة الشخصيات مماثلة لدورها.

– لقد ركز الروائي على أمكنة المهمشين التي يلجؤون إليها للهروب من الواقع المرير حيث أن الشخصية تهرب من المكان المغلق نحو المكان المفتوح لأنها تجد نفسها مقيدة فلا تستطيع معرفة ذاتها، بحيث تكون واقعة في ارتباك وضغوطات تضيق الخناق على الشخصية ويكون حاجز يعترض طريقها لتحقيق ما تطمح إليه من أهداف. أما المكان المفتوح فيجعلها تتجاوب معه وتتصف بسلوكات متميزة كما تعبر عن تجاربها وهي مدركة لذاتها وتفصح عن تطلعها بكل ثقة وهي مستشرفة لتحقيق آمالها وغاياتها التي تطمح إلى تحقيقها دون تردد أو خوف لما سيواجهها

– بعد دراستنا لعلاقة المكان بالشخصية في رواية (أهل البياض) نخلص أن (مبارك ربيع) قد استطاع أن يصف الأمكنة في روايته وصفا متميزا، فأحسن تنسيق هذه الأمكنة جعلها ملائمة للشخصيات، وملتصقة بها بحيث نجد الأمكنة محفزة للشخصية فتعبر عن سلوكاتها وعاداتها وما ينتابها من مشاعر، وأحيانا تحب المكان أو تكرهه إذا لم يتوفر فيه ما تطمح لتحقيقه فالكاتب نجده يرصد كل أدواته الفنية من أجل أن يكون المكان مناسبا لكل شخصيات الرواية.

– رواية (أهل البياض) هي رواية تجمع بين الفصحى والعامية الذي هو من طبيعة العمل القصصي، فالرواية نجحت ببراعة وذكاء في ألا تجعل العامية عائقا أمم من لا يعرفها فثمة انسيابية شاعرية وحرفة في تمرير المفردات العامية بين طيات الفصحى

– وما يسعنا القول إلا أن اللغة مرآة شفافة تعكس الواقع وتشخصه، كما أن اللغة تمنح لهذه الرواية خصوصية الانفتاح على العوالم الممكنة المحيطة بها من جهة ومن جهة أخرى تؤسس حواراتها الفكرية والايديولوجية ضمن بنية المجتمع المغربي.

ختام القول: نأمل أن نكون قد وفقنا في إنجاز هذا البحث وتسليط الضوء على واقع مغربي يملأه التهميش والمعاناة والظلم والقهر في ظل سلطة المركز. ويبقى هذا البحث مساهمة بسيطة تحاول الكشف عن الموضوع والتقصي عن حيثياته والمجال مفتوح للتوسع والبحث، وفي الختام نسأل الله التوفيق والسداد.

1 – بيوغرافيا الروائي:

أ – نبذة عن المؤلف " مبارك ربيع":

" مبارك ربيع" كاتب وأديب مغربي ولد بسيدي معاشو سنة 1935 (عمالة سلطات) اشتغل بالتعليم الابتدائي من سنة 1952، تحصل على جائزة في الفلسفة وعلم النفس وعلم الاجتماع سنة 1967، ثم على دبلوم للدراسات العليا في علم النفس سنة 1975، كما أحرز على دكتوراه للدولة سنة 1988، يشتغل حاليا قيدوما لكلية الآداب والعلوم الإنسانية – بنمسيك سيدي عثمان – البيضاء، انضم إلى إتحاد كتاب المغرب سنة 1961، يتوزع إنتاجه بين القصة القصيرة، الرواية، المقالة الأدبية، والبحث في علم النفس والتربية، نشر أعماله بمجموعة من الصحف والمجلات: التحرير، العلم، دعوة، الحق، أقل م، الآداب، الكتاب العربي، الوحدة، أبعاد فكرية، العربي.

من بين أعماله البارزة:

1 – الروايات:

-الطيبون: الدار البيضاء، دار الكتاب، 1972.

-رفقة السلاح والقمر، الدار البيضاء، دار الثقافة، 1976.

-الريح الشتوية، تونس، الدار التونسية للنشر، 1977، (من بين أفضل 105 رواية عربية).

-بدر زمانه، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1984.

-برج السعود، 1990.

-من جبالنا، توزيع شوسبيرس، 1998.

-درب السلطان، في ثلاثة أجزاء (ج1، نور الطلبة، ج2 ظل الأحباس، ج3، مزهة البلدية). وكلها من توزيع شوسبيرس، 1999/ 2000.

-أهل البياض: دار الساقي، 2011.

2 – القصص:

-سيدنا قدر، طرابلس، دار المصراتي، 1969.

-دم ودخان، تونس، الدار العربية للكتاب، 1975.

-رحلة الحب والحصاد، بيروت، دار الآداب، 1983.

-البلوري المكسور، شوسبيريس، 1991.

3 – كتب الأطفال:

أحلام الفتى السعيد، الرباط، وزارة التربية الوطنية، اليونيميف، 1991.

-ميساء ذات الشعر الذهبي، الرباط، وزارة التربية الوطنية، اليونيميف، 1991.

-بطل لا كغيره: الرباط، وزارة التربية الوطنية، اليونيميف، 1991.

-طريق الحرية: توزيع شوسبيريس.

أهم الدّراسات التي قام بها:

-عواصف الطفل: دراسة في الطفولة والتنشئة الاجتماعية، ط2، الرباط، الشركة المغربية للطباعة والنشر، 1991.

-مخاوف الأطفال وعلاقتها بالوسط الاجتماعي، الرباط، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 1991.

تحضر منذ سنوات، في أكثر من محفل أدبي وفي خريطة الجوائز العربية، ذاك هو " مبارك ربيع" في جعبته حصيلة " روائية مهمة" وجوائز أدبية " فائز بجائزة " السلطان قابوس للرواية ومنحت له جائزة " محمد زفزاف" للرواية العربية في منتدى أصيلة، وجائزة " الحسن السابع" للقصص القصيرة.

2 – ملخص الرواية:

تبدأ أحداث رواية (أهل البياض) بشخصية (الشاف حموني) الذي يقود دورية الفاركونيت التي تقوم بالبحث عن التائهين، والمتشردين، والمهمشين، واللصوص ومروجي المشتقات، والمخدرات، والمتسكعين، والسكارى، فدورية الفاركونيت تقوم بجولات ليلية في الشوارع، والأماكن المظلمة، فالأزقة لتقبض على المشتبه فيهم. لتظهر في الرواية بعد ذلك شخصية أخرى وهي شخصية المختال المدعو (ليشر) هذا الرّجل الذي يمشي في الشارع المظلم الفسيح بدون أي

هدف غير مبال بشيء وكأنّه يقوم بنزهة ليلية، وفجأة تتجه صوبه سيارة الفاركونيت التي تترقب خطواته حيث تتمفصل بتمهلة، ولكن وعي الرجل ربما لتتبع سيارة الفاركزنيت له يغير مساره باتجاه الغابة، ولكن سيارة الفاركونيت تبقى مترصدة لخطوات الرجل الذي بقي يمشي بنفس الطريقة حتى تصل سيارة الفاركونيت أمامه بل حتى أصبحت مجاورة له، ولكن يبدو أنّ الرّجل غير مبال بما يجري حوله ولكنه بلا شك يرى ما أمامه، يقوم أحد من الشرطة بمناداته قائلا: «هوه، هوه» ولكن الرّجل غير مبال وكأنه لم يسمع شيء وفجأة تسرع بسيارة الشرطة متجاوزة إياه وتسير لتسد طريقة، فيقترب أحد الشرطين من الرّجل فيقول في نفسه أن هذا الرجل لا يبدو خطيرا ولكنه يجب أن يبقى حذرا من الرجل خوفا من أي استجابة معاكسة أو أي تطرف خطير منه، ولكن الرجل يبق مستسلما لكل شيء، ليسأل الشرطي الرّجل عن وجهته ولكن الشرطي الآخر يصيح على زميله أن يكف عن إضاعة وقته مع هؤلاء فلم يعد أحد يدري ماذا يتناولون حتى يصبحوا في هذه الحالة، وهكذا يقوم الشرطيان بدفع الرجل إلى السيارة.

وهكذا تجري الأحداث حتى تظهر شخصية أخرى وهي شخصية (غياته) هذه المرأة التي تسترزق بجسدها، حيث تعطي أغلى ما عندها جسدها، وروحها مقابل المال، وبالمقابل تمنح مجنون البلدة عطفا هذه المرأة التي تسرد حكايات على الرّجال، ولكن غياته في بعض الأحيان تحمل معها سلاح لتهدد هؤلاء الذين لا يدفعون لها مقابل ما أخذوه منها وتهدد كل من كان معها نذل، وشحيحا ويواصل الروائي روايته بالتحدث عن دورته الفاركونيت التي تقوم بمواصلة عملها مع زبائنها.

وانجاز المحضر الأولي لكل واحد منهم ولكن الذي شغل بال المناوب الليلي ذلك الرجل الذي تم القبض عليه ذلك الرجل الصامت الذي لا يريد أن يبوح عن هويته فهو لا يملك أوراق ثبوتية فشرطي (الفاركونيت) يطلب من المناوب أن يسجل أي شيء ولكن المناوب يطالب من الشرطي بدوره أن يقبض فقط على الحالات الواضحة والمعرفة بأوراقها الثبوتية ولكن الساكت يقوم بالنهوض فجأة وكانه يريد مغادرة المخفر والشرطي يقوم بإعادته إلى مكانه، والرجل الساكت يحاول أن يتخلص من قيده المعدني ولكن الشرطيان يحاول تهدئته.

وأخيرا يقترح الشرطي على المناوب أن يحبس الرجل الساكت ولكن المناوب لم يقبل باقتراح صاحبه تخوفا مما قد يفعله الساكت بنفسه.

لتظهر في الرواية بعد ذلك شخصية أخرى وهي شخصية (محجوب) صاحب الدّكان هذا الرجل الذي يجلس أمام باب الدكان ويضع فوق كرسيه حشية هذه الحشية ليست لأي كان، وإنما يزود بها جليسه الأثير (سي عبد الله لبصير) ليستمتعا بتبادل الحديث ولكن (البصير) دائما يسأل صاحبه ليتأكد من عدم وجود أي أحد، فهو لا يحب أن يستمع أحد لحديثهما غير الله فأحاديثهما تدور حول فتاوى الدين ومتع الدنيا، ولبصير يترك ابنته تدور في الشوارع وهي تبيع محارم ورقية ابنة لبصير هي (فايزة) الفتاة المتسولة، ليكمل الروائي روايته حول جماعة الفاركونيت فالرجل الساكت يحاول دائما أن يتحرر من قيده وشرطي المخفر يحاول تهدئته باستمرار، وتتواصل الأحداث ليصل (الشاف حموني) ويسود الصمت المكان ويتهيأ الكل للحظة الحساب ويقوم (الحارس مسعود) باخبار الجميع أن (الشاف حموني) قادم وبعد انصراف الشرطيان وفي اللحظة التي يكون فيها (الشاف حموني) منهمكا بمكالماته الهاتفية يسمع حركة الرجل الساكت فيقوم (الشاف حموني) باستفسار عن عمر أي عن الرجل فيشرح له (مسعود) الأمر باختصار فيأمر (الشاف حموني) (مسعود) بأن يضعه في السجن ولكن فجأة تقف امرأة في الباب وتقول (ليشير) مسكين هذه المرأة هي غياته التي تعبت في البحث عن (اليشير) فلم تترك مستسفى ولا ملجأ إلا وبحثت عنه، وتقول (غياته) أن (ليشير) لا يحمل أوراق معه لأنه ليس إلا درويش ومسكين وان لا علاقة له بالمخدرات والحشيش فهو رجل تقي وهكذا تتصرف (غياته) ومعها (ليشير) بعد أن تسرد حالة (ليشير) على (الشاف حموني).

لتعود مجريات الرواية مرة أخرى حول الفتاة (فايزة) بنت (لبصير) هذه الطفلة التي تملك عقل امرأة، أو أكثر، أو عقل رجل فوالد (فايزة) يتحدث مع صديقه (محجوب) عن ابنته فهو يراها كل شيء يالنسبة له، وأنه لن يفرط في ابنته لمنال لا يستحقها.

هكذا تسير مجريات الرواية حول المخفر وقبل خروج (غياته) و(ليشير) من المكان يظهر في الباب رجل تتذمر منه (غياته) هذا الرجل الذي يبدو أنه يعرف (ليشير) ويقول أن (ليشير)

صديقه، هذا الرجل هو (موزاوي) بينما (الشاف حموني) يتساءل عن علاقة (موزاوي) (ببشير)، (فموزاوي) عندما حاول الاقتراب من (ليشير) قالت له (غياته) " كيف تفكرته؟" وقد تعجب (موزاوي) من ردة فعل (غياته) وهكذا بقي الصراع والغضب بين الاثنين حول (ليشير)، ولكن (ليشير) بقي ساكنا في حضن (غياته) وكأن العمر لا يعنيه، وهكذا يخرج (موزاوي)، و(غياته) من المخفر ويصطحبها (ليشير) معهما ويمسك كل واحد منهما (ليشير) ويسيرون في اتجاه واحد.

تتواصل أحداث الرواية حول الفتاة (فايزة) التي تقف في الشوارع وتحاول أن تقنع الزبائن لشراء محارمها الورقية (فايزة) تراقب ألوان إشارات المرور فإذا رأت اللون الأحمر فإنّها تستوقف أحدا ما لشراء مبيعاتها، ليعود بنا (الروائي) إلى المحفر ورئيسه (الشاف حموني) الذي وصله خير بأنّ شيئا ما يتهيأ وأنه هناك حركة غير عادية سببها (السهلي)، وهي شخصية أخرى تظهر في الرواية فالحركة باتجاه مسكنه وهناك بعض النساء والرجال يقصدونه وكأنه هناك مناسبة ما، ولكن (الشاف حموني) أمر باستطلاع الأمر ومراقبة (السهلي) عن بعد مع أخذ الحيطة والحذر، (فالسهلي) هو زوج (راضية) هذه المرأة التي اختفت في ظروف غامضة.

ويكمل الروائي أحداث روايته حول الفتاة (فايزة) التي تعرضت لاغتصاب حيث لا يريد أحد أن يعترف بحصوله، إذ أن الفتاة (فايزة) التي تعرضت للاغتصاب تواجه اتهامات تدين قبلاتها البريئة فل تجد من يدافع عنها، أو يفتش عن من اعتدى عليها، لتظهر شخصية أخرى في الرواية هي شخصية (عيدة) زوجة أب (فايزة) الذي هو (لبصير)، الفتاة التي تجمع رزق وافر، فوالد (فايزة) دائما يسألها من أين تكسب المال ولكنها لا تعطيه الجواب، وبينما كانت زوجة الأب في جلسة شاي مع الأب. تخبره أنه لا يليق بفتاة في سنها أن تلعب مع الجميع، مع الغلمان وغيرهم في الشارع فماذا سيقال عنها (بنت عيدة) تلاعب الجميع في الشارع والأزقة المظلمة والخلوات (فعيدة) تعتبر نفسها أما (الفايزة).

تستمر معاناة (فايزة) بسبب اغتصابها والوالد يتهم (محجوب) صديقه، والفتاة (فايزة) لا تريد أن تصرح شيء فالأب في حالة يرثى لها هو يسال ابنته والفتاة خائفة وزوجة الأب تسألها

أيضا عن الفاعل وكيف تم اغتصابها، فالأب في حالة سيئة من المصيبة ويبحث عن سكين ليقتل بها الفاعل، ولكن كل اللوم يعود إلى الأب وإلى الفتاة (فايزة) فهي السبب في كل ما حصل لها لان والدها منح لها حريتة أكثر من اللازم، هكذا قرر (لبصير) الرحيل مع ابنته وهو يتحسس يد فايزة، ولكن ليشير كان وراءهما وتمضي لحظات يحدق (لبصير) باتجاه (لبشير) المتجمد في موقفه على الطريق ثم يسير إليه، ويطلب منه أن يعود أدراجه، يبدو (لبشير) كالمستسلم ويحط سيره إلى الوراء، تمسك (فايزة) يد والدها من جديد ويستأنفان السير بخاطر منفرط تحضر في أعماقه الخواطر والأفكار ما وقع وقع ولا شيء يغير منه، ولكن هناك وجهة أخرى للموضوع إذا ركبت العناد فل حجة، ولا دليل لشيء إلى وقوع ما يدعى المفترض أن يكون الاعتداء وقع بالعنف على الفتاة ولإشارة ولدليل على هذا وليس في كيان فايزة كلاما يدل على أنّها عنفت، فالفتاة يبدو أنها سلمت نفسها طواعية لمن أرادت وفق رغبتها.

الخطاب موجه (لبصير) يؤكد الاتزان، النزوي وسعه النظر فمن جهته هناك (محجوب) ولو أنه في نظر المسؤولين والقانون مجرد مسمى على الورق، ومن جهة أخرى البنت (فايزة) التي يجب أن تلام إلى حد ما، وبدون مبالغة على ما جرى بل أن يلام والدها أيضا إلى حدّ ما بدون مبالغة إذن في مثل هذه الأحوال لابد منا ضرورة التستر، وحفظ كرامة الجميع وخاصة البنت حفاظا على مستقبلها، وحفظ كرامة الأسرة ومن جهة ثالثة الدليل على شيء الملف فارغ، فارغ.

إن قضية اغتصاب (فايزة) قيدت ضد مجهول وهذه عبارة قانونية لا غبار عليها من شأنها أن تحفظ حق كل واحد وتجعل الملف مفتوح لكل جديد.

هكذا يواصل (لبصير) سيرة مع ابنته (فايزة) يستشعر (فايزة) تسابقه الآن وكأنّه هو المجرور وراء خطوها فهي الآن قطعت حبالها وباتت أكثر إصرارا على الرحيل، وهكذا يطير (ليشير) باتجاه (فايزة) و(لبصير) ويحضنهما بجناحي ذراعية يدفعهما معه في الطريق ليأخذوا اتجاه واحد.

قائمة المصادر

والمراجع

- **القرآن الكريم:**
- **المصادر:**

1. مبارك ربيع، أهل البياض، دار الساقي، لبنان: 2011، ط1.

- **المراجع:**

1. إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، دار نهضة، القاهرة، مصر، دت، دط ،
2. إبراهيم أنيس، اللهجات العربية، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة : دت ،دط .
3. احمد مرشد، البنية الدلالية في روايات إبراهيم نصر الله، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت: 2005، ط1.
4. أسماء شاهين، جماليات المكان في روايات جبرا إبراهيم جبرا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت: 2005، ط1.
5. اوريدة عبود، المكان في القصة القصيرة الجزائرية، دراسة بنيوية لنفوس ثائرة، دار الأمل للطباعة، الجزائر، دت ، دط.
6. ايميل بديع يعقوب: فقه اللغة العربية وخصائصها، دار العلم للملايين، بيروت: 1982 ، ط1.
7. بدر عثمان، دت بناء الشخصية الرئيسية في الروايات لنجيب محفوظ، دار الحداثة، بيروت: 1986، ط1.
8. بشير بويجرة محمد، دت الشخصية في الرواية الجزائرية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر: 1983، دط.
9. البغال رشيد، الجرائم المخلة بالآداب فقها وقضاء، دار الفكر العربي، بيروت: 1983، دط.
10. بلحسين بليشي، جيلالي بن الحاج يحي، القاموس المدرسي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر : 1981 ،دط.
11. ترفيتان تودوروف، مفاهيم سردية، تر: عبد الرحمن مزيان، منشورات الاختلاف : 2005، ط1.
12. تشومة صادق، طرائق تحليل القصة، دار الجنوب للنشر، تونس : دت، دط.

13.جان وليام لاييبار، السلطة السياسية، تر: حنا إلياس حنا، منشورات عويدات، بيروت: 1974 ،ط1.

14.جورج لوكاش، دراسات في الواقعية، تر: نايف بلوز، وزارة الثقافة، دمشق: 1970، ط2.

15.حبيب مونسي، فلسفة المكان في الشعر العربي، منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق: 2001 ،دط.

16.حميد لحميداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب: 2000، ط3.

17.حنان محمد موسى حمودة، الزمانية وبنية الشعر المعاصر، أحمد عبد المعطى أنموذجا، عالم الكتب الحديثة للنشر والتوزيع، عمان: 2006، ط1.

18.الرازي، مختار الصحاح، رتبة محمود خاطر، دار الفكر، بيروت: 2006، دط.

19.روبيرت إسكاربيت، سوسيولوجي الغرب، عويدات للنشر والطباعة، بيروت: 1999، ط3.

20.سهام عبد السلام: العنف ضد المرأة، مركز قضايا المرأة العربية ، القاهرة :2008 ، دط.

21.سيزا قاسم، بناء الرواية، دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر: 1984، ط1.

22.الشريف حبيلة، دط بنية الخطاب الروائي، دراسات في روايات نجيب الكيلاني، عالم الكتاب الحديث، الأردن: 2010، ط1.

23.الطاهر لبيب وآخرون، دط الثقافة والمثقف في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية: 2002 ط2.

24.عبد الرحمان أبو زيد الدين ابن خلدون، دط ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر " مقدمة العلامة ابن خلدون" دار الفكر، بيروت: 2007، دط.

25.عبد السلام فاتح، دط ترييف السرد، خطاب الشخصية الريفية في الآداب، نقد أدبي 2007: ط1.

26.عبد المالك مرتاض، دط في نظرية الرواية (بحث في تقنيات السرد)، عالم المعرفة، الكويت : 1998، دط.

27.فليب هامون، دط سميولوجيا الشخصيات الروائية، تر: سعيد بنكراد، دار كرم الله، الجزائر :دت، دط.

28.لحميداني حميد، بينة النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء: 1993 ،ط 2.

29.الماضي شكري، صورة الريف في الرواية العربية الشعرية، المعرفة، دمشق: 1986، دط.

30.محمد أبو سريع، ظاهرة التسول ومعوقاتها ومكافحتها، القاهرة: 1986، دط.

31.منيب محمد البوريمي، الفضاء الروائي في الغربة (الإطار والدلالة)، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد: 1983، دط.

32.ميخائيل باختين، الخطاب الروائي، تر: محمد برادة، دار الفكر، القاهرة1987، ط1.

33.ميشل مان، تر: عادل مختار الهواري، موسوعة العلوم الاجتماعية، دار المعرفة الجامعية، مصر: 1999، دط.

34.ناصر العجبلان، الشخصية في قصص الأمثال العربية، المركز الثقافي العربي، لبنان: 2009، دط.

35.نجمي حسين، شعرية الفضاء السردي، المركز الثقافي العربي، بيروت: 2000، ط1.

المعاجم والقواميس:

1. ابن منظور، لسان العرب، تج: عبد الله علي الكبير وآخرون، ج3، دار المعارف، القاهرة، دت.

2. أنطوان نعمة وآخرون، المنجد الوسيط في اللغة العربية والمعاصرة، دار المشرق، بيروت: 2003 ط1.

3. بطرس البستاني: محيط المحيط، مكتبة لبنان، بيروت، دط، 1987.

4. فيروز أبادي: قاموس المحيط، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، دط، 1999.

5. لطفي شرابي، معجم مصطلحات الطب النفسي، مركز تعريف العلوم الصحية، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي: دت، دط.

6. مجمع اللغة العربية بالقاهرة، معجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية: 2004 ،ط4.

7. محمد القاضي ومجموعة من المؤلفين: معجم السرديات، دار محمد علي للنشر، تونس: 2010 ،ط1 .

- محمد عاطف عيت، قاموس علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، السويس، مصر ، دت. ، دط .

المجلات والدوريات:

1. إبراهيم كايد، العربية الفصحى بين الازدواجية اللغوية والثنائية اللغوية، المجلة العلمية لجامعة الملك فيصل، مجلد 3. ع1. 2002.
2. جوادي هينة، التعدد اللغوي في رواية فاجعة الليلة السابعة بعد الألف لواسيني الأعراج، مجلة أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، ع5. مارس 2009.
3. حسن البحراوي، أدب محمد شكري من الهامشية إلى المركزية، مجلة علامات، مكناس، المغرب ، 2000 ، ع18.
4. حمزة قريرة، الجنون وانكسار مسارات السرد في رواية وصية المعتوه، مجلة الأثر، جامعة قاصدي مرباح ورقلة : 2017، العدد 29.
5. صورية جيجخ، إشكالية المركز والهامش في الأدب" مجلة المخبر، جامعة بسكرة، الجزائر: 2014، العدد10.
6. محمد سعيدي، المثقف والسلطة والحراك الاجتماعي في الوطن العربي" جامعة الجزائر، مجلة الحياة الثقافية، تونس :فيفري 2014،ع248 .
7. منى محمد طلبة، عالمية الأدب من منظور معاصر، مجلة عالم الفكر،المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ديسمبر 2001،مج 33.ع2.
8. وائل بركات، نظرية النقد الروائي عند مخائيل باختين، مجلة جامعة دمشق للآداب والعلوم الإنسانية: 1998،مج 14.ع3.

الرسائل والمذكرات الجامعية:

سلطاني نعمان، الكشف اللغوي عن التعدد اللهجي في لغة القرآن، رسالة ماجستير، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة الجزائر : 2006.

المواقع الإلكترونية:

1. إبراهيم الحيدري، « الهيمنة الأبوية الذكورية في المجتمع والسلطة » ، شبكة الاقتصاديين العراقيين، عن موقع : http://iraqiercomomists.net/ar/، بتاريخ : 21/ 05/ 2018.

2. أكرم حجازي، صراع المركز والهامش، تأملات في شريط العاصفة الشعبية، عن موقع : http://www.almoyaqeb.net//main/articles.action-show-id3ouhtm ، بتاريخ: 2013/06/11.

3. رياض كامل، اللغة في الخطاب الروائي يحي يخلف أنموذجا، عن الموقع : www.m.ahewar.org.sasp، بتاريخ 2018/05/04.

4. عادل عامر، الفقر والانحراف، عن الموقع: https://m.facebook.cbohoutte، بتاريخ: 2018/05/21.

5. العوامل المساهمة في تنظيم الورشات، عن موقع : https://archives.m.Wikipedia.org، بتاريخ: 2018/07/01، الساعة 11:30

6. اللعلى سعادة، أدب الهامش نعمة للغناء... وأخرى للبكاء، مقال منشور في ندوات المخبر، عن الموقع: www.Labrception.net.

7. ليلى جغام، وصف التجربة الشعرية للشاعر رضا ديداني: ممثل أدباء الهامش بالجزائر، مقال منشور في ندوات المخبر، قسم اللغة العربية، جامعة بسكرة : فيفري 2011 ،عن الموقع : www.Labrception.net بتاريخ:2018/02/10.

8. محمد بن سعيد، أدب الهامش في المغرب، ثورة المرأة، عن الموقع www :hac,univ.com.

9. هناء محمودي شكري، المهمشون كارثة عمرانية بيئية... مؤجلة، عن الموقع https://www.researchgate.net/publication/321579338، بتاريخ: 2018/05/18.

فهرس الموضوعات.

إهداء
كلمة شكر
مقدمة..... أ
مدخل: تحديد الجهاز المفاهيمي.
أولا: مفهوم اللغة.....11
ثانيا:ثنائية المركز و الهامش 17
ثالثا :مفهوم الشخصية.....29
رابعا :مفهوم المكان/الفضاء.....31
الفصل الأول:المستويات اللغوية و قضايا المهمشين في عالم رواية أهل البياض.
أولا: تمظهرات لغة المهمشين في عالم رواية أهل البياض.....39
1. ثنائية الفصحى والعامية.....40
2. اللغة الدينية.....49
3. اللغة الإيحائية.....53
4. اللغة البذيئة.....56
ثانيا :موضوعات المهمشين.....61
1. قضية المرأة. 62
2. قضية الفقر. 69
3. قضية الجنون.....77
الفصل الثاني: علاقة الشخصية و المكان بلغة الهامش في عالم رواية أهل البياض.
أولا: الشخصية المهمشة..... 89
ثانيا: الأمكنة المهمشة.....104
ثالثا :علاقة المكان بالشخصية المهمشة.....121
خاتمة..... 126
ملحق.....130
قائمة المصادر والمراجع..... 137